محسن يوسف

المرأة في الكتب المقدسة

قصة المرأة في القرآن والإنجيل والتوراة



محسن يوسف

المرأة في الكتب المقدسة

قصة المرأة في القرآن والإنجيل والتوراة

* المرأة في الكتب المقدسة
* المؤلف .. محسن يوسف

* الغلاف للفنان سهيل خليل
* الناشر .. دار كندة للنشر
ص.ب دمشق ٤٥٣٠

اطلالة

اولى

. . بادىء ذي بدء ، لابدّ من القول ، أن موضوع المرأة في الكتب المقدّسة ، موضوع على درجة من الأهميّة ، لايقلّ بأيّ حال من الأحوال ، عن غيره من الموضوعات التي شغلت وتشغل العقل البشري ، منذ التكوين الأوّل للانسان .

فالمرأة ، كانت ـ وهذا حقّها المستمرـ ، الطرف الثاني في معادلة استمرار الحياة على الأرض ، وكما كان وجود الرجل /أدم/ ضرورياً اكتسب وجودها كأنثى /حواء/ ، الضرورة ذاتها ، فخلقا معاً ، ليزرعا الحياة في أديم الأرض ، ويباشرا الملحمة الانسانية التي شاء الله أن تتجسد عبرهما . . إلى آخر الزمن . .

ولما كانت الكتب السماويّة التي أنزلها سبحانه وتعالى ، قد احتفت بهذا المخلوق ، وأخذت بيده رعاية وحماية ، ليكون الشريك القادر على العطاء والاسهام في صنع الحياة وعبادة الله ، فقد رأينا أن الكتابة والبحث في سيرة المرأة ، واجب لابدّ من تأديته ، لأن سيرة هذه المرأة ، تكمل مسيرة الانسان ، وتضيف اليها ، ما أراده الله من خلقها إلى جوار آدم . . إن الكتب السماوية التي أشادت بآدم ، وفضّلته على الملائكة ، وميّزته بالسجود ومعرفة الاسماء ، وأضاءت صورته فجعلته

بمشيئة الله على صورته تعالى ، اهتمت أيضاً بحواء ، ورسمت صورتها ، بكل الملامح والصفات والتضاريس المناسبة . .

وهذا هو الحد الأدنى الذي يبحث عنه هذا الكتاب ، وهو الهدف الأول الذي نرجو أن نكون قد حققناه ، ونحن نسعى لتأدية هذا الواجب ، في سبيل رسم سيرة الانسان على الأرض .

اللاذقية ١١/١٩٨٨م

المؤلف

المرأة . .

هذا اللغز القديم . .

. . كينبوع ماء الحياة الذي تدور حوله الحكايات . .والأساطير . . كالنور الساطع الذي تحترق في مداره الحارّ ، أسراب الفراشات العاشقة .

كالحياة . . والأمل ، والخلود ، وكل الأشياء العظيمة في الوجود . .

هكذا . . .كانت المرأة ، ومازالت . . .

المخلوق الرقيق . . الحنون . . الجميل ـ الجذر . . والأغصان . . والظلّ . .والثمار ـ ذلك الذي تهدأ الجنّة تحت أقدامه . . والذي حمل الحياة وهناً على وهن ، ليهب الحياة . .

الأمّ الحنون . . والأخت الودود . . الرفيقة المطيعة . . والابنة الناعمة الغالية . . .

هذا المحبوب الذي يضيء بابتساماته أعماق الأعماق ، ويمنح الاستمرار للوجود . . كرّمته الآلهة الوثنية في العصور القديمة ورفعته إليها ، فانتمى اليه الحبّ ، والحنان ، والجمال ، والخصب ، وتوّج إلهاً بين الآلهة ، ثم ،غضبت آلهته الجبارة ، فحوّلته إلى عبد رقيق ، سامته مرّ العذاب ، فأصبحت الأنثى أقرب إلى الشاة التي تقاد إلى الذبح ، وموئلاً للشهوة الجامحة ، ومصدراً للفساد والفجور . .

. . بين النقيضين :الخير والشرّ ، تمتدّ رحلة المرأة مع الزمن . . جسدها بما حباه الله من فتنة وخصوبة ، يمدّ يداً نحو النعيم ، ويداً أخرى نحو الجحيم ، وما بين اليدين الخالدتين ، ينمو الذكر ، نطفة ، فجنيناً ، فيافعاً ، إلى أن يصبح رجلاً ، ينهمر حبّاً وجنوناً فوق الجسد الذي كوّنه واصطفاه . . غريب هو الذكر . . وعجيبة قوانينه ، وأفكاره ، وشهواته . . أليس شبيهاً بذلك الرجل البدائي الذي كان يصنع آلهته من مادة غذائية ، وعندما يسوطه الجوع يلتهم ماصنع ، ويتلمظ ؟ . .

لقد حول المرأة . الانثى . الامّ والاخت والابنة والزوجة الى شيء دائم الخضوع لتكويناته ، وأوهامه ، وأمراضه ، وكأن المرأة مجرد العوبة بين يديه ، يلهو بها متى شاء ، فحيناً يقذف باللعبة لتعانق قدميه ، وحيناً آخر يرفعها إلى ما فوق رأسه ، لتلحق بها نظراته الولهى ، ثم لا يلبث أن يأخذ بالملهاة إلى صدره ، قبل أن يطأها لتستوي بالأرض . .

إنها حال المرأة المعاصرة ، وحالها في كل العصور ، ولا يدري المرء ، وهو يقرأ آلاف الصفحات الصفراء ، والآراء المتداولة ، وكلّها ترصد هذا المخلوق ، وتحاول الالمام بأحواله المختلفة ، أيقف مع المرأة أم ضدّها أو يجافي الموقفين؟ . أينظر إليها كلغز قديم عجزت القرون عن كشفه وتفسيره ، أم انها اكثر وضوحاً مما يجب ، أم انها ليست شيئاً من هذا؟ . .

أهو سوء فهم قديم قدم الانسان؟ . أم انه ظلم اكثر قدماً توارثته

الأجيال ، ليصبح مشكلة المشكلات؟ . أم انه مجرد توق بشري إلى الغموض والتشويه؟ . .

أهو انحياز للمرأة اسهمت فيه الانثى كمحاولة منها لمجابهة قوة الرجل الطاغية ، أم هو حقائق على المرء أن يقبل بها على ما فيها من ثغرات يرفضها العقل والمنطق وخصوصية العلاقات الانسانية؟ .

ربما كان الموضوع يخضع لمجموعة هائلة من التفسيرات والاجتهادات ، ويتقبل مختلف الاحتمالات ، لكنه في النهاية ، يظل موضوعاً إنسانياً هو الاكثر جدارة بالتأمل والبحث والدرس ، لاستجلاء جوانبه كافة ، والوصول إلى نتائج اكثر منطقية ومعقولية ، واقرب إلى العلاقات الانسانية الحميمة والدائمة . .

ثمة مالاخلاف حوله ، وهو ان المرأة شريك أزلي للرجل ، لابد منه سلباً أم ايجاباً لاستمرار الحياة ، عبر التوأم الخالد (الرجل . . والمرأة) . . وثمة ما لاخلاف حوله أيضاً ، في جميع الآراء والديانات ، وهو ان المرأة عنصر تابع وخاضع للرجل ، ولعل الاسطورة السومرية التي تتحدث حول ولادة الآلهة الانثى (ننتي)من ضلع إله الماء الذكر (انكي) هي أول الآراء التي شكّلت المنهل الرئيس لاكساب المرأة صفة التابعية والخضوع للرجل ، ثم بدأت الآراء الاخرى رحلتها الطويلة ، متتبعة هذه الاسطورة القديمة ، واضعة الخطوط والنقاط والتفاصيل اللازمة ، لتحويل الآلهة الوثنية (ننتي) إلى انثى من البشر ، أو كل إلى الرجل (البشري) زمامها ، وقيادها ، لما يحقق طغيان هذا البديل ، وتثبيت حقه في التملك والسيطرة ، لارغام

(الانثى البشرية) على طاعته ، والامتثال لرغباته ، في سبيل هدف اسمى من العلاقة بينهما ، وهو التعاون على استمرار الوجود ، والمحافظة على الجنس البشري . .

إن التأمل في التاريخ المكتوب الذي يتضمن حكاية ولادة المرأة الاولى ، وانحسار أو تطوّر دورها فيما بعد (أن في مجتمع الآلهة أو في مجتمع البشر) يحقق سلسلة مترابطة من التفاصيل التي تجعل من هذه الحكاية ، شيئاً فريداً وطريفاً ، ويزيد المرأة اغراء ، كما يسهم في تعميق الاحساس بأن المرأة اكثر من لغز ، على الرغم من انحسار دورها كاحدى الآلهات القديمات ، وتحوّل هذا الدور إلى المجتمع البشري عبر العصور والاديان الوثنية ، ثم تطوّره في تعاليم الاديان السماويّة . .

على الرغم من هذا ، ظلّ العقل البشري ، توّاقاً إلى اللغز القديم ، ليجسّد من خلاله متعته وابتهاجه بالمرأة، وليزداد تبعاً لذلك سيطرة وطغياناً ، على حساب تلك المخلوقة الرائعة ، البائسة التي اكتفت بدورها الجديد كمنتج للجنس البشري ، فوضع لها استناداً إلى ارثه التاريخي الكبير ، شروطاً وقيوداً جديدة ، تعزّز زعامته وتميّزه ، متناسياً أو متغافلاً عما جاء في الكتب السماويّة ، ساعياً إلى اغتصاب كلّ ما حققته لها هذه الاديان من مكاسب وحقوق ترفع من قيمة مزاياها وصفاتها ، وتجعل من الانثى صنواً مساوياً للرجل ، ومحاولاً في الآن ذاته ، تكريس ارثه بمعونة غير عادلة وقد استطاع أن يجتهد ويستنبط ما يؤكد ذلك في التعاليم الجديدة ، من مثل امور الزواج

والطلاق والاعالة والكيد العظيم ، مع أن هذه الامور في جوهرها ، لا تفرّق بين الانثى والذكر ، كمخلوقين كاملين ومؤمنين . بل هي في حقيقتها ، تتلمّس الاستثناء في الحياة الانسانية ، ولنأخذ على ذلك مثالاً ، من سورة يوسف في القرآن الكريم[1] ، فنحن نعرف أن (يوسف) عليه السلام ، تعرّض لاغواء امرأة العزيز ، وراودته عن نفسه وقد اغلقت الابواب :

((وهمّت به وهمّ بها لولا ان راى برهان ربّه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا الصالحين ـ الآية ٢٤)) .

فهرب يوسف ، ولحقت به وقدّت قميصه من دُبر ، وتناقلت نسوة المدينة الخبر ، فلما سمعت المرأة العاشقة حديث النساء ، دعتهنّ اليها ، ودبّرت لهنّ ما جاء ذكره في السورة الكريمة حتّى قطعن ايديهن لفرط جماله وما وهبه الله من حسن وبهاء ، ثم وصل الامر إلى سيد المرأة الذي هو زوجها ، فانكرت ما قامت به واتهمت (يوسف) بما فعلت ، لكن القميص الذي مزّق وقطّع من الخلف كان يحمل براءة العبد الصالح :

((فلما راى قميصه قدّ من دبر قال انه من كيدكن إن كيدكن عظيم . .))

إن هذه الآية الكريمة ، وهي الآية السابعة والعشرون من السورة ، انزلت في امرأة العزيز وصويحباتها اللواتي اثار موقف يوسف ورفضه الفحشاء كوامنهنّ ، فتدافعن يبغين رؤيته ، ولم يرد مثيل لها في جميع سور الكتاب الكريم ، ومع ذلك نجد أن الرجل/

الذكر ، يحاول أن يضع جميع الاناث في موضع امرأة العزيز وصاحباتها اللاهيات ، متجاهلاً اسباب نزول الآية وزمانها ومكانها . .

إن (يوسف) من عباد الله الصالحين ، اما امرأة العزيز فلم تكن لكذلك ، وقد انتفى الشرط الجوهري للمساواة بين المخلوقين . . بين المخلوق الكامل والمؤمن ، والمخلوق الذي يتبع اهواءه ورغباته ، بعيداً عن القيم الخلقية والانسانية ، ولهذا يصحّ أن نقول لمثيلات هذه المرأة (ان كيدهنّ عظيم) ولو اراد الله ان يعمم الصفة على جميع النساء ، لجاءت هذه الآية ، في مكان آخر من القرآن الكريم . .

إن ايرادنا لامر (الكيد العظيم) والمقصود به من النساء ، يفسّر معنى (المعونة غير العادلة) ، ويشير إلى جانب هام مما يحاوله الذكر لتكريس ارثه التاريخي ، في السيطرة على الانثى ، كما يبيّن معنى الجوهري الذي يشمل الجميع أو يتلمّس الاستثناء في الحياة الانسانية ، ويثبت حقيقة ما تتعرّض له المرأة من ظلم واجحاف ، كشريك ازلي للرجل ، لاستمرار الحياة والمحافظة على الوجود البشري .

ومن هذا الامر ايضاً ، ينتفي النظر إلى المرأة ، على أنها لغز قديم ، أو انها مجرد العوبة ، أو وسيلة للمتعة ، فهي ليست في الحقيقة ، سوى شريك كامل الحقوق والواجبات ، مثلها مثل الرجل ، لها ماله ، وعليها ما عليه ، لا فرق بينهما ،بل مساواة عادلة ، تأخذ في الاعتبار اهمية الاثنين في عبادة الله ، وصنع الحياة . . قال الله تعالى :

((من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب[2] . .))

وقال سبحانه وتعالى :

((من عمل صالحاً سن ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون[3] . .))

المراجع

١ ـ القرآن الكريم ـ طبعة المكتبة العربية في المانيا الغربية عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ ميلادي/ سورة يوسف ـ مكية ـ عدد آياتها ١١١ آية ـ نهاية الصفحة ١٨٧ حتى الصفحة ١٩٨ .

٢ ـ سورة غافر ـ الصفحة ٣٧٦ الآية الرابعة .

٣ ـ سورة النحل ـ الصفحة ٢٢٢ الآية ٩٧ .

المرأة
في
التوراة

* ـ مقطع من نشيد الأنشاد (ايتها الحبيبة) . .
* ـ التكوين الأول . .
* ـ التكوين التوراتي ، وخلق المرأة الاولى . .
* ـ صورة الانثى في اسفار . . اليهود . .
* ـ نساء شهيرات . .
* ـ انبياء اسرائيل . . والنساء . .
* ـ مختارات من نشيد الأنشاد . .
* ـ المراجع والهوامش . .

التكوين الأول :

. . وُجد الانسان على سطح الارض ، قبل أن يدوّن التاريخ بآلاف السنين ، فالتاريخ المكتوب يعود بنا إلى ما قبل عام (٣٠٠٠ ق .م) ولهذا فان اقدم مادوّن حول خلق الانسان (ذكراً أم انثى) لا يتجاوز عمره (٥٠٠٠ سنة) ، لكن ذلك لا يعني ان نقف حيارى ، امام ما وصل الينا من نظريات وأساطير ، منها على سبيل المثال لا الحصر ، تلك النظرية التي تعيد أصل الانسان إلى شيء يشبه قرد (الشامبانزي) قبل أن يتطور ويتشكل خلال مئات وآلاف السنين ، ليصبح على ما هو عليه الآن . أما أقدم الأساطير التي تتناول موضوعة (خلق المرأة) ،فهي دون شك ، تلك الاسطورة السومرية التي تقول أن (انكي) إله الماء ، وزوجته (ننخر ساج) آلهة الارض ، كانا يعيشان في ارض (دلمون) النظيفة الطاهرة ، ولاحد الاسباب غضبت الهة الارض على إله الماء غضباً شديداً ، وابتلته بالامراض والعلل ، ثم لا تلبث أن ترأف به ، وتبادر إلى علاجه .

لنقرأ الحوار الذي تقدمه الاسطورة ، بين الزوجين :

ننخرساج :

ـ ماالذي يوجعك ياأخي؟ .

انكي :

ـ ان فكّي هو الذي يؤلمني

ننخرساج :

ـ لقد اوجدت من اجلك الأله (ننتول) . .

ثم تسأله :

ـ ومااالذي يوجعك . . ياأخي؟ .

انكي :

ـ ان ضرسي هو الذي يؤلمني

ننخرساج :

ـ لقد اوجدت من اجلك الأله (ننسوتو)

وتتابع ننخرساج اسئلتها ، وخلقها لآلهة الشفاء إلى ان تصل إلى ضلعه :

ننخرساج :

ـ ماالذي يؤلمك ياأخي؟ .

انكي :

ـ ان ضلعي هو الذي يؤلمني

ننخرساج :

ـ لقد اوجدت من اجلك الآلهة (ننتي) . .

ويرى علماء اللغة السومرية ان كلمة (تي) تعني /ضلع أو احيا أو جعله حياً/ ، وبهذا يصبح اسم ننتي : سيدة الضلع أو السيدة التي تحيي ، وهذه السيدة شبيهة بحواء التوراة التي اخذت من ضلع آدم ، فهي سيدة الضلع ، وهي حواء بمعنى التي تحيي . .[1]

إن هذه الاسطورة تفيدنا ، ونحن نستعد للعبور إلى عالم التوراة ، في فك الكثير من رموز هذا الكتاب الذي الحقت به مئات الصفحات

والاضافات ، ولابد من الاشارة هنا إلى أن ناسخي التوراة ، استفادوا من التراث الكبير الذي قدمته لهم الحضارات السابقة ، كالحضارة الفرعونية التي عاشوا في ظلّها ، ونهلوا من معينها ، وانطلقوا منها الى فلسطين ، مهد الحضارة الكنعانية التي كانت تبسط سلطانها في تلك البلاد ، اضافة الى حضارات اخرى كالآرامية وحضارة ارض الرافدين ، ونجد في العهد القديم ، مظاهر عديدة تشير إلى تأثير هذه الحضارات في معتقدات العبرانيين ، ومنها نظرتهم إلى المرأة التي هي عبارة عن تمثل واستيعاب لما جاءت به هذه الحضارات المتقدمة ، ويمكن أن نشير إلى احداث معروفة اعيدت صياغتها لتلبي اهداف ومرامي ناسخي التوراة ، منها تشابه حادثة الطوفان عند السومريين والبابليين مع الطوفان التوراتي ، ونجد بين نصوص بابلية تتعلق بالخلق ، وبين سفر التكوين التوراتي تشابهاً كبيراً في النص والمفردات[٢] ، (وعثر على لوح نقشت عليه قصيدة سومرية فيها تشابه بين المدونات التوراتية والقصيدة السومرية[*]) . .

التكوين التوراتي وخلق المراة الاولى :

. . يلاحظ في التكوين التوراتي ، ان خلق المرأة والخروج من الجنّة ، تحوّل إلى حكاية ركيكة التراكيب والمفردات ، تدور حول افعى ملعونة ، اغرت حواء وجعلتها تأكل من شجرة في وسط الجنة[**] ،

* ـ كتاب (تاريخ سوريا القديم) د . احمد داوود ـ الصفحة ١٢٣ ـ طبعة ١٩٨٦ .

** ـ ورد في القرآن الكريم ـ ان الشيطان هو الذي اغوى ادم وحواء معاً ، وليس الافعى .

فيغضب (الرب الإله) على الافعى وحواء وآدم ، ويطردهم من الجنة . .

لنقرأ ماجاء في نهاية الاصحاح الثاني ، من سفر التكوين :

((اوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام ، فاخذ واحدة من اضلاعه وملأ مكانها لحماً ، وبنى الرب الإله الضلع التي اخذها من آدم امرأة واحضرها إلى آدم ، فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي . هذه تدعى امرأة لانها من امرىء اخذت .لذلك يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً ، وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان[٣] . .))

ويتابع كاتب الاصحاح الثالث باسلوبه الركيك ، رواية الحكاية فيقول :

((كانت الحية احيّل جميع حيوانات البرية . فـ الت للمرأة احقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة . فقالت المرأة للحية من ثمر الجنة نأكل . واما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا .فقالت الحية للمرأة لن تموتا . بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر . فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر . فأخذت من ثمرها واكلت واعطت رجلها ايضاً معها فأكل ، فانفتحت اعينهما وعلما أنهما عريانان ، فخاطا اوراق تين وصنعا لانفسهما مآزر . .

وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ،

فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين انت .فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لاني عريان فاختبأت . فقال من اعلمك أنك عريان .هل اكلت من الشجرة التي اوصيتك ان لا تأكل منها .فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي اعطتني من الشجرة فأكلت .فقال الرب الإله للمرأة ماهذا الذي فعلت . .))

وتستمر الحكاية على هذا المنوال ، ويحكم على المرأة ((تكثيراً اكثر اتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولاداً . وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك)) .

((ودعا آدم اسم امراته حواء لأنّها أمّ كلّ حيّ . .)) وطردا من الجنة إلى الأرض . .

هذا ماجاء في سفر التكوين حول المرأة ، ولاندري الغاية التي حملت كاتب النص إلى ادخال الحية في تشكيله ، أو الغاية من تحميل المرأة وحدها وزر الخطيئة الاولى للجنس البشري ، لكن الواضح أن النص يشكو من التفاصيل الكثيرة والحوار الطويل ، والركاكة البادية في التراكيب ، مما يشكك في صحته ، وينفي عنه صفة (الكلام المقدس) فهو من كلام البشر العاديين وتراكيبهم .

صورة الانثى في اسفار اليهود :

. . يهتم العبريون بعذرية الفتاة ، والرجل الذي يتزوجها ((لايقدر أن يطلقها كل ايامه[٤] . .)) مع أن الطلاق متاح لهم

((اين كتاب طلاق امكم التي طلقتها[٥] . .)) لكنه مرتبط بارتكاب الذنوب ((من اجل ذنوبكم طلّقت امكم[٥] . .)) وتعاليمهم تحضّهم على الاخلاص للمرأة الاولى : ((لايغدر احد بامراة شبابه ، لان الرب الإله يكره الطلاق[٦] . .)) ومما يثير الانتباه حقاً احتفاؤهم بالعذارى إلا في الارث . فالبنت لا ترث من ابيها إلا في حالة واحدة ((ايما رجل مات وليس له ابن ـ ذكر ـ تنقلون ملكه إلى ابنته[٧] . .))ومظاهر احتفائهم بالعذراء كثيرة ، وليس الاحتفاء مكسباً يتحقق لها او ميزة ، لكنه لغرض آخر ، سنتبينه ونحن نتأمل هذه المظاهر : فهي إذا وجدت غير عذراء ، تعامل في منتهى الشدة والعنف وترجم حتى الموت ، اما إذا اعتدى رجل على عذراء مخطوبة ، اي تم الفعل عنوة واغتصاباً ، فيرجم الرجل وحده حتى الموت ، اما إذا لم تكن مخطوبة ، فعلى الرجل أن يتزوجها[٨] ، ولا يجوز لليهودي الزواج من ارملة أو مطلقة أو مدنسة اوزانية (فمن هؤلاء لا يأخذ بل يتخذ عذراء[٩] . .) .

وعندما يرغب احد الرجال بعذراء لم تخطب ((فاضطجع معها يمهرها لنفسه زوجة . ان أبى ابوها يعطيها يزن له فضة كمهر العذارى[١٠] . .

هذا بالنسبة للانثى العذراء ، ولقد ابدت الاسفار اهتماماً مبالغاً ، بموضوعات البغايا والطلاق والزواج ، واعتبرت المرأة المطلقة والارملة والمدنسة والزانية بمرتبة واحدة . وحظرت على اتباعها جميعاً الزواج منهن ، كما منعت الرجال من استعادة زوجاتهم المطلقات ، لأن المرأة المتزوجة ـ تتنجس عند طلاقها أو زواجها من رجل آخر[١١] .

ولايجوز ليهودي أن يتزوج من غريبة . لنستمع إلى الملك سليمان يخاطب ابنه طالباً اليه أن يفرح بامرأته ، ولا يتزوج باجنبية :(*)

((ليكن ينبوعك مباركاً وافرح بامرأة شبابك الظبية المحبوبة والوعلة الزهية . ليرْوِك ثدياها في كل وقت وبمحبتها اسكرْ ، فَلِمَ تفتن يابني باجنبية وتحتضن غريبة(١٢) . .))

ويرغبه في اقتناء المرأة الفاضلة والبحث عنها فيقول :

((من يجدها لان ثمنها يفوق اللآلىء ، الحسن غش والجمال باطل ، اما المرأة المتقية الرب فهي تمدح ، ولتمدحها اعمالها في الأبواب(١٣) . .))

ومع الحديث عن النساء الاجنبيات ، والمرأة التي يفوق ثمنها اللآلىء ، يشير سفر اشعياء ، الى بنات اليهود اللاهيات الفاسقات ، وما يظهر فيهن من عيوب ، وما ينتظرهن من عقاب :

((من اجل أنّ بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الاعناق وغامزاتٍ بعيونهم وخاطراتٍ في مشيهن ويخشخشن بارجلهن ، تُصلعُ اليدُ هامةَ بنات صهيون ويعري الرب عورتهن(١٤) . .))

وحددت الأسفار النساء اللواتي لايسمح بكشف عوراتهن ، وهن :

ـ الام ـ امرأة الأب ـ الاخت والشقيقة ـ ابنة الابن والابنة ـ اخت الأب ـ اخت الام ـ امرأة العم ـ الكنة ـ امرأة الاخ ـ الام

* ـ واللافت للانتباه ان اليهود واحبارهم اتهموا سليمان بالزواج من غريبات املن قلبه واحب جميع الامم ، كما سيرد لاحقاً . .

وكنتها ـ الاخت واختها وهما حيتان[١٥] . .

ويبدو ان احكام تنظيم علاقة الرجال بالنساء ، اخذت نصيباً كبيراً من اهتمام المشرع في التوراة ، وفيما يلي نقدم (جرداً) لهذه الاحكام ، وتتضمن اموراً أخرى تتعلق بالنساء :

((. . ملعون كل من يضطجع مع امرأة ابيه لانه يكشف ذيل ابيه ـ وكل من يضطجع مع اخته بنت ابيه او بنت امه أو يضطجع مع حماته ـ اذا زنى رجل مع امرأة قريبه أو امرأة ابيه أو مع كنته فانهما يقتلان كلاهما ـ إذا اتخذ رجل امرأة وامها فذلك رذيلة ـ اذا اخذ رجل اخته بنت ابيه او بنت امه فذلك عار ـ اذا اضطجع رجل مع امرأة عمه يموتان عقيمين ـ إذا أخذ رجل امرأة اخيه فذلك نجاسة إلا عند موت الاخ وفي هذه الحالة يجوز له ان يتزوجها ـ ولا يجوز تنجيس امرأة القريب ولا الاقتراب من امرأة طامث ولا اذلال المرأة بطمثها ، فالمرأة نجسة طالما هي في الحيض وكل ما تلمسه أو تجلس عليه يكون نجساً ، وعند وضعها لذكر تكون نجسة سبعة ايام ، وتتضاعف المدة عندما تلد انثى ، ولا يحق لأب تدنيس ابنته بتعريضها للزنى . .))

وتلاحظ كثرة تشبيه مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا ، في مراحلهما الاخيرة (بالنساء الزانيات) لان المملكتين استسلمتا للاعداء ، واباحتا نفسيهما للغرباء ، كما تفعل البغايا . .

نساء شهيرات :

. . تبرز في اسفار التوراة ، مجموعة نساء ، وقد اكتسبت **هذه** النساء شهرتهن التاريخية ، بفضل ما قدمن من خدمات للدين اليهودي ، والشعب العبري ، باستثناء واحدة منهن هي امرأة العزيز حاكم مصر ، ولعل اشهرهن على الاطلاق ، تلك التي اختصها متابعو كتابة الاسفار بعد السبي إلى بابل بسفر خاص اطلق عليه اسمها ، وهو سفر (استير) ، ونتعرف في بداية الغزو اليهودي لبلاد كنعان إلى الزانية (راحاب) اضافة إلى القاضية المشهورة (دبورة) واحدى معاصراتها وقد عملت على قتل قائد احد الجيوش المعادية لقومها ، ومعهن ام شمشون ودليلة التي خدعت ذلك الجبار واحتالت عليه لتنهي اسطورته . .

إن قصة امرأة العزيز ، معروفة جيداً ، وتبسطها بشكل كامل سورة يوسف في القرآن الكريم ، وتروى في سفر التكوين(١٦) ، ولا يذكر اسم المرأة ، انما يشار اليها (بالسيدة المصرية) التي حاولت اغواء يوسف الذي باعه اخوته (وكان حسن الصورة والمنظر) وتقول الرواية التوراتية :

((إن امرأة سيده رفعت عينيها إليه وقالت : اضطجع معي(*))) فيهرب الشاب الصغير ، مبتعداً عنها ، ((فامسكته بثوبه قائلة : اضطجع(*) معي ،فترك ثوبه في يدها)) وتستمر القصة لتحيط بالحادثة المعروفة ، فتقدم المرأة على اتهام يوسف بالتعرض لها والتحرش بها ، فيحكم عليه بالسجن ، ويقضي فترة خلف جدرانه .

* ـ يكثر استخدام مفردة (اضطجع) في اسفار اليهود . .

في (سفر يشوع)[١٧] تخفي الزانية ـ راحاب ـ جاسوسين ارسلهما يشوع بن نون ، لاكتشاف اسرار مدينة اريحا ، ومعرفة خفاياها ، لأن الزانية اتفقت معهما واخذت عهداً بالحفاظ على حياتها وحياة اسرتها ، بعد حرق الغزاة للمدينة الكنعانية . وهذه المرأة من الشخصيات النسائية التي تحظى بحب اليهود واعجابهم ، وتحتفي بها ادبياتهم ، على مدى تاريخهم ، كما يحفل بامثالها التاريخ اليهودي ، في علاقات هذا الشعب بالشعوب الاخرى ، ولا يخلو هذا التاريخ من قصص النساء ، في جميع فتراته ، ومن النساء اللواتي كان لهن الكلمة الاولى ، في مصير الشعب العبري ، وقيادته ، القاضية (دبّورة) ويرد ذكرها في (سفر القضاة)[١٨] ومن أعمالها في فترة حكمها ، تزعمها القوات العبرية في حرب ضروس مع القائد (سيسرا) رئيس جيش (يابين) وظهور نساء آخريات في اثناء تلك الحرب ، مما يشير إلى مشاركة المرأة اليهودية في الحروب التي اثاروها ضد شعوب المنطقة ، وقد تمكنت احدى النساء ، في حربهم ضد جيش يابين ، وهي (ياعيل امرأة حابر القيني) من خداع القائد سيسرا وقتله ، فدخلت تاريخ قومها كبطلة عظيمة ، وذكرت في السفر ، امرأة مباركة ليس كمثلها بين النساء . .

يتابع سفر القضاة[١٩] الاحتفاء بالشخصيات النسائية ، ويعرفنا إلى شخصيتين نسائيتين اصابتهما الشهرة ، الاولى (منوح) ام شمشون الجبار ، والثانية (دليلة) المرأة التي احبها ، وتأتي شهرتهما من اتصالهما بهذا العملاق الذي تحولت سيرته إلى

اسطورة ، وتبدأ والسفر يعلمنا أن (منوح) كانت امرأة عاقراً ، ثم ، (يبشرها ملاك الرب بغلام) ، وعندما تتم مدة الحمل ، تنجب غلامها المنتظر (شمشون) ، وفي المقابل يؤكد الاعتقاد اليهودي ، سطوة المرأة الجميلة وتأثير هذا الجمال في الرجال ، عبر دليلة الساحرة ذات المنبت المجهول ، فتحتال على الجبار ذي القوة الهائلة والخارقة ، وتنوّمه على ركبتيها ، لتحلق (سبع خصل من رأسه) تفقده قوته ليتمكن منه اعداؤه المتربصون ، ويستمر كاتب السفر في رواية تفاصيل القصة ، كما جرت العادة في ثرثرات اليهود التالية لما جاء به موسى ، فينمو شعر شمشون ، وتعود إليه قوته المفقودة ، والاصفاد تغل اطرافه وجسده خوفاً منه ، فينتقم شر انتقام ، ويهدم المعبد ـ مكان اعتقاله ـ على نفسه وعلى اعدائه .

المرأة الأخيرة التي ينظر إليها اليهود ، نظرات التمجيد والتقديس ، وربما العبادة هي (استير) وافرد لها كاهن عصرها من واضعي الاسفار ، سفراً كاملاً اطلق عليه اسمها ويملأ مساحة الصفحات ، من الصفحة ٧٧٩ ولغاية الصفحة ٧٩٢ ـ واستير هذه (المنقذة الجديدة) واهم منقذات الشعب اليهودي ، في عصور السبي (جميلة الصورة وحسنة المنظر) ، تحقق حلم أولي الأمر من جماعتها ، فيوظفون جمالها لتحقيق ما يصبون إليه ، وتثبت قدرتها في تحقيق المعجزات ، وتستغل فتنتها الفريدة في اغواء الخصوم ، واجتذاب اصحاب النفوذ ، وارغامهم على الانصياع والخضوع وتلبية ما تشاء . .

إنها تستثمر اعجاب (الملك احشويروش) الذي ملك من الهند إلى كوش لصالح اولي امرها القابعين في الظل ، انتظاراً لعودة مظفرة ، إلى ارض (ميعادهم) فتتقرب منه ، وتبدي لعينيه كل ما هو مغر وجميل ، ولا عجب ان يميل الملك اللاهي إلى الحسناء اليهودية الفاتنة ، لانها اختيرت دون شك لتمثيل دورها الموضوع من قبل عقول لا ينقصها الدهاء ((فاحبها الملك اكثر من جميع النساء)) وتوّج رأسها الجميل ، بالتاج الملكي المذهّب ، لتمارس الدور المرسوم في عملية انقاذ بني قومها من الضياع والاندثار ، في مرحلة انحسر فيها تأثيرهم وسلطانهم ،ولكي تدخل (استير) التاريخ الديني لليهود ، كمنقذة من هلاك اكيد . .

انبياء اسرائيل والنساء :

. . لعل التاريخ البشري ، بصفحاته الضخمة ، لم يعرف من المباذل إلا الجزء اليسير مما حفل به التراث اليهودي من عمليات التزوير والتشويه وقلب الحقائب التي تعرض لها هذا التاريخ ، وخاصة تلك العمليات التي استهدفت سير انبيائهم ، حتى ليظن المرء ان هؤلاء الانبياء ، يخضعون (لمخطط ما) الغاية منه الاساءة اليهم ، وتجريدهم مما يميّز الانبياء عن البشر العاديين ، وتحفل الصفحات التي عملت فيها اقلام الناسخين من اتباع الدين اليهودي الذين تعاقبوا على نسخ وكتابة الاسفار ، بما يؤكد وجود هذا المخطط الرهيب ، ويشير إلى أنّ نسخ التوراة التي بين ايدينا ، كتبت في مراحل

تالية ، وتبعد كثيراً عن الزمن المفترض لنزولها . .

وتقدم اسفار (التكوين ـ راعوث ـ صموئيل الاول ـ صموئيل الثاني ـ سفر الملوك الاول) ما تقشعّر لهوله الابدان ، ويظهر النية الخبيثة المبيتة ، لاظهار الانبياء ، بمظهر يتناف كلياً حتى مع ابسط ما يجب أن يتحلى به البشر من الأخلاق ، وتبدو النيات الشريرة لهؤلاء الكتّاب والنسّاخين ، وتنكشف اهدافهم ، ليس في الاساءة الى الانبياء فحسب ، بل في الاساءة إلى جيرانهم ايضاً . .

أما كيف نتبين ذلك؟ . . فيتجلى في محاولاتهم تشويه صور الانبياء ومنهم لوط وسواه كما سنرى بعد قليل ، ونبدأ بمحاولتهم الطعن في تاريخ جيرانهم المؤابيين وبني عمّون ، والحط من جدارة نساء المصريين والحثيين وبنات كنعان ، والتشهير بمن يبني بهنّ ، وفي سبيل ذلك . يسلك الكتبة الجدد اي سبيل ، ولو كان على حساب الانبياء ، فهم يفسرون رغبة (سارة) في أن يكون لابراهيم ولداً من صلبه ، وتشجيعه على الزواج من (هاجر) ، بما لم يفكر فيه احد ، ويجدون تسويغاً للاساءة والنيل من خصومهم عن طريق هذه الرغبة المشروعة .

ان سارة في سفر التكوين[٢٠] تطلب الى ابراهيم ان يدخل بجاريتها المصرية هاجر ام اسماعيل . .

إن ام اسماعيل ، وهو جد العرب ، جارية ومصرية ، وقد اعاب دينهم الزواج من نساء المصريين ، ولايعدمون وسيلة للاشارة إلى مكانة هاجر وانتمائها المصري ، للانتقاص منها ومن ابنها ومن قيمة

جيرانهم ، وفي السفر نفسه[٢١] يدّعي كاتبه أو واضعه زوراً وبهتاناً ، ان النبي لوط رُزق بولدين ، هما موآب : ابو الموآبيين ، وعمّي : ابو بني عمّون ، اما الوالدتان فهما ابنتاه اللتان سقتاه خمراً لكي تحملا منه وتلدا رأس الموآبيين ، ورأس العمونيين[*] .

ويمضي كاتبو العهد القديم على هذا المنوال ، فالمرأة وُجدت للمضاجعة ، ويُخشى من جمالها الذي لا يقاوم ، وتتالى عمليات رصد زواج ابناء وسلالة سيدنا ابراهيم ، ومن ذلك زواج يعقوب ولد اسحق من ابنتي خاله ثم دخوله على جارية كل منهما وانجابهما اولاداً ، ولا يتورعون عن دفع ابن يعقوب (راوبين) الى مضاجعة احدى الجاريتين ، ويبدو أن المرأة الزانية ـ كانت سيدة ذلك العصر ـ وكان لها تأثيرها السحري في نفوس الذين يتقنون الكتابة في ذلك الزمن ، واخذت دوراً مهماً لا يمكن اغفاله ، لانها كانت تمارس (مهنتها) على قارعة الطريق ، فهاهو يهوذا احد ابناء يعقوب ، يرى امرأة تضع قناعاً وتنتظر الرجال : ((فمال اليها وقال هاتي ادخل عليك ص ٦٤)) فيدخل عليها وتنجب ولدين ، هما (فارص وزارح) ونعرف فيما بعد أن المرأة اسمها (ثامار) وكانت زوجة لرجل ميت ، هو ابن يهوذا نفسه . .

ونقرأ في سفر صموئيل الاول[٢٢] ان الرجال : ((كانوا يضاجعون

* ـ وهي رواية كاذبة . مفرضة ، دحضتها آيات عديدة في القرآن الكريم ، ورُدّ على هذا التحريف في مكان آخر من هذا الكتاب . .

النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع)) وخيمة الاجتماع هي المكان المخصص لعبادة الرب عند اسرائيل . .

ولكي يعلن كاتب النص ، عن كراهيته للنبي داود ، يبيّن لقومه اليهود (حقيقة) هذا الرجل الذي تعود جذوره إلى امرأة مؤابية هي (راعوث) ويعدّد لهم اسماء زوجاته ويعرض بعض افعاله[٢٣] ، فداود تزوج ستاً من النساء بعد زوجته الاولى (ميكال ابنة الملك شاول) والنساء الست هن (اخينوعم اليزرعيلية ـ الارملة ابيجايل/ والارملة زانية ـ معكة بنت تلماي ملك جشور ـ حجّيث ـ ابيطال ـ عجلة) وبعد ان اصبح ملكاً ((أخذ سراري ونساء من اورشليم بعد مجيئه من حبرون ص ٤٩٠))

وفي سبيل تجريد داود من جميع الصفات التي أهلته ليكون ملكاً على اسرائيل ، فهو يتزوج الارامل (الزانيات) وجدته مؤابية ـ غريبة ـ ويحيط نفسه بالنساء والسراري ، ولابد من اكمال الطوق ، فهاهو داود يمشي على سطح منزله ، فيشاهد امرأة تستحم (وكانت المرأة جميلة المنظر جداً) وهذا التعبير يتكرر باستمرار عند وصف المرأة ، ونعرف ان المرأة هي بنت اليعام امرأة اوريا الحثي ، فيرسل داود رسله اليها ، ويضاجعها فتحبل منه ، ثم يتزوجها بعد أن يبعث بزوجها إلى الحرب ويقتل ، وتنجب له زوجة اوريا الحثي ابنه (الملك سليمان) الذي لا يسلم هو الآخر من احقاد مدوني التاريخ اليهودي (ص ٥٠١) فبعد أن يتزوج ابنة فرعون ، ويلتقي بلقيس ملكة سبأ التي اهتدت على يديه ، يتابع مزورو التوراة ، رسم صورة الملك

سليمان ، ابن ارملة اوريا الحثي ، وسليل تلك المؤابية :

((واحب الملك سليمان نساء + غريبة كثيرة + مع بنت فرعون مؤآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحثيات من الامم ـ فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري ، فامالت نساؤه قلبه[٢٤] . .))

وهكذا فإن الملك سليمان لم يكن جديراً بقيادة (شعبه) لان قلبه مال ، واحب جميع الامم . .

مختارات من نشيد الأنشاد[٢٥] :

((ـ ليقبلني بقبلات فمه . .

لان حبك اطيب من الخمر . .

ـ لذلك احبتك العذارى . .

ـ اجذبني وراءك فنجري . . نبتهج ونفرح بك . .

ـ أنا سوداء وجميلة . .

ـ لاتنظرن إليّ لكوني سوداء لأن الشمس لوّحتني . . بنوامي غضبوا عليّ . جعلوني ناطورة الكروم . اما كرمي فلم انطره . .

ـ اخبرني يامن تحبه نفسي اين ترعى اين تربض عند الظهيرة

ـ ان لم تعرفي ايتها الجميلة بين النساء فاخرجي على آثار الغنم وارعي جداءك عند مساكن الرعاة . .

ـ لقد شبّهتك ياحبيبتي بفرس في مركبات فرعون . ما اجمل خدّيك

بسموط وعنقك بقلائد . نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة . . ص ٩٨٥)) .

((ـ صرّة المر حبيبي لي . . بين ثدييّ يبيت . .

ـ طاقة فاغية حبيبي لي في كروم عين جدي . .

ـ انا سوسنة الاودية . .

ـ كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين البنات . .

ـ كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين .

تحت ظله اشتهيت أن اجلس . .

ـ اسندوني باقراص الزبيب انعشوني بالتفاح فانّي مريضة حباً . .

ـ شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني . .

ـ احلفكن يابنات بالظباء وبايائل الحقول الا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء . . ص ٩٨٦ . .))

((ـ في الليل على فراشي طلبتُ من تحبه نفسي طلبته فما وجدته . .

ـ اني اقوم واطوف في المدينة في الاسواق وفي الشوارع اطلب من تحبه نفسي . .

ـ وجدت من تحبه نفسي فامسكته ولم ارخه حتى ادخلته بيت امي وحجرة من حبلت بي . . ص ٩٨٧ . .))

((ـ هلمي معي . .

ـ انا نائمة وقلبي مستيقظ . صوت حبيبي قارعاً . افتحي لي يا حبيبتي يا حمامتي لان راسي امتلأ من الطل . .

ـ قد خلعت ثوبي فكيف البسه . قد غسلت رجليّ فكيف اوسخهما .

ـ حبيبي مدّ يده من الكوة فانّت عليه احشائي . . ص٩٨٨ . .))

((ـ ماحبيبك من حبيب ايتها الجميلة بين النساء . .

ـ حبيبي ابيض واحمر . معلم بين ربوة . راسه ذهب ابريز ـ عيناه كالحمام ـ خداه كخميلة الطيب ـ شفتاه سوسن ـ يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد ـ ساقاه عمودا رخام ـ كله مشتهيات . هذا حبيبي وهذا خليلي يابنات . . ص٩٨٩ . .))

((ـ من هي المشرقة مثل الصباح . جميلة كالقمر . طاهرة كالشمس .

ـ رأسك عليك مثل الكرمل وشعر رأسك كارجوان ـ ملك قد اسر بالخصل . . انا لحبيبي واليّ اشتياقه . .ص ٩٩٠ . .))

((ـ اجعلني كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك ، لأن المحبة قوية كالموت .الغيرة قاسية كالهاوية ، لهيبها لهيب نار لظى الرب . مياه كثيرة لا تستطيع ان تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها . .ص ٩٩١ . .))[٢٥]

المراجع والهوامش

* - الكتاب المقدس - اصدار دار الكتاب المقدس في العالم العربي ويضم العهد القديم والعهد الجديد .

١- اخذت وقائع الاسطورة السومرية من كتاب (مغامرة العقل الاولى) تأليف فراس سواح - طبعة أولى عام ١٩٧٦ - نشر اتحاد الكتاب العرب بدمشق - الصفحات ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ . .

٢- يشير المرجع السابق الى (أن كل لوح من الواح الاسطورة البابلية يقابله يوم في سفر التكوين) .

٣- سفر التكوين ص ٦ - ٧

٤- سفر التثنية اصحاح ٢٢ ص ٣١٤ .

٥- سفر اشعياء اصحاح ٥٠ ص ١٠٥٣ .

٦- سفر ملاخي اصحاح ٢ ص ١٣٥٦ .

٧- سفر العدد اصحاح ٢٧ ص ٤٩ .

٨- سفر التثنية اصحاح ٢٢ ص ٣١٥ .

٩- سفر اللاويين اصحاح ٢١ ص ١٩٣ .

١٠- سفر الخروج اصحاح ٢٢ ص ١٢٣ .

١١- سفر اشعياء اصحاح ٣ ص ١٠٧٦ .

١٢- سفر الامثال اصحاح ٥ ص ٩٤٣ .

١٣- سفر الامثال اصحاح ٣١ ص ٩٧١ .

١٤- اصحاح ٣ ص ٩٩٥ - ٩٩٦ .

١٥- سفر اللاويين اصحاح ١٨ ص ١٨٧ .

١٦- اصحاح ٣٩ ص ٦٥ .

١٧- الاصحاح الثاني ص ٣٢٨ .

١٨ـ اصحاح ٤ ص ٣٨٤ ومابعد .

١٩ـ اصحاح ١٢ الصفحات ٤٠٣ ـ ٤١٨ .

٢٠ـ اصحاح ١٦ ص ٢٣ .

٢١ـ اصحاح ١٩ ص ٢٩ .

٢٢ـ اصحاح ٢ ص ٤٢٩ .

٢٣ـ صموئيل الثاني اصحاح ٣ . ص ٤٨٥ـ٤٨٦ .

٢٤ـ سفر الملوك اصحاح ١١ ص ٥٥٣ .

٢٥ـ اخذت المختارات من الصفحات ٩٨٥ ولغاية ٩٩١ ومن الاصحاح الاول وحتى الاصحاح الثامن .

آدم . . وحواء
بين التراث القديم . . والتوراة . .
والاصل العربي

. . اشرنا في مقدمة بحثنا عن (المرأة في التوراة) ، الى ان ناسخي التوراة ، استفادوا من التراث الكبير الذي قدمته لهم الحضارات السابقة ، وقد حفل العهد القديم ، بمظاهر عديدة ، تشير إلى تأثير هذه الحضارات في معتقدات العبرانيين ، ومن هذه المظاهر ، تشابه حادثة الطوفان عند السومريين والبابليين مع الطوفان التوراتي ، كما نجد بين نصوص بابلية ، وبين سفر التكوين التوراتي تشابهاً كبيراً في النص والمفردات ، وألمحنا إلى وجود الواح سومرية ، تحتوي قصائدَ شعرية ، نقلت حرفياً إلى المدونات التوراتية . .

ان هذه الاشارات التي جاءت في مقطع (التكوين الاول) تدلّ وتنبه إلى مدى عبث مؤرخي اليهود بصفحات التاريخ القديم ، من اجل ان يخلقوا (لجماعتهم) الصغيرة ، وجوداً يماثل وجود الاقوام المجاورة لها ، تلك الاقوام التي اغنت بلاد العرب ، بحضارات انسانية عملاقة ، يقف امام انجازاتها العقل البشري ، في عصرنا ، غارقاً في

الذهول . . والاعجاب . .

ولعلّ في اخذهم لتفاصيل قصة (آدم وحواء) واعتمادها في اسفارهم كنص عبري ، ما يثبت مصداقية الاشارات الآنفة الذكر ، ويثير في الوقت نفسه الريبة في انتمائها اليهم ، لما ورد بها من اسماء ومواقع عربية ، ويفضح جانباً من سرقاتهم لكنوز الانسان في هذه الارض المقدسة . ارض العرب ، اضافة الى تبيان موضع من مواضع التشابه بين النصوص السابقة للتوراة ، والنصوص العبرية .

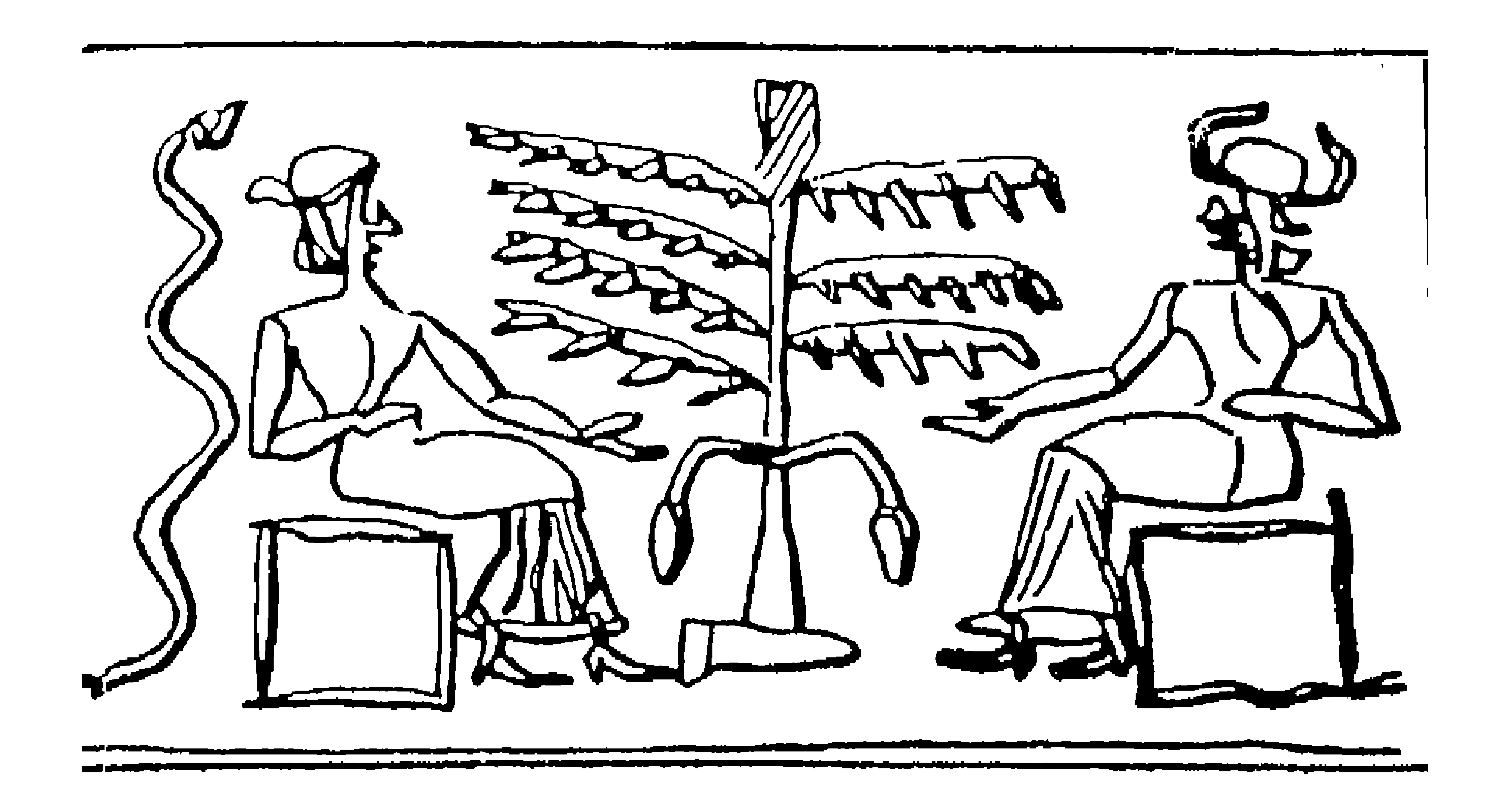
ومما جاء حول هذه القصة وأكدته المكتشفات الأخيرة (ان قصة آدم وحواء بما فيها قصة جنة عدن قصة قديمة جداً تعود جذورها إلى ما قبل ظهور الكتابة بزمن طويل . ان القصة التي تشير إلى اغراء الحية لحواء التي اغرت بدورها آدم بتناول ثمرة شجرة معرفة الخير والشر بالرغم من كونها محظورة . ان هذه القصة نجدها مصورة على نقش سومري[1] ، يشاهد فيه رجل على رأسه قلنسوة ذات قرنين وامرأة حاسرة الرأس جالسين الواحد امام الآخر ، وقد ظهرت بينهما شجرة تشبه شجرة النخيل تدلى عذقان من التمر من طرفيها ، ويشاهد الرجل ماداً يده اليمنى امامه ليقطف الثمر ، كما تشاهد المرأة وهي مادة يدها لتقطف من الثمر الذي امامها . وتشاهد الحية وهي تقف على ذنبها خلف المرأة وتهمس في اذنها تغريها بالاكل من هذا الثمر المحرم عليهما ، ومما يذكر أن هذا النقش التاريخي يعود الى زهاء الفي عام قبل التوراة[2] . .))

ان النقش السومري يكشف بما لا يدع مجالاً للشك ، عملية

السطو التي اقدم عليها اليهود ، فالنقش احتوى على تضاريس قصه التكوين الواردة في مدوناتهم ، وخاصة الحية التي لم يرد ذكرها مفصلاً إلا في كتبهم ، ومما يؤكد عملية السطو هذه ، انتماء اسمي آدم وحواء الى المعجم العربي ، وتواجدهما في مواضع منطقة بيت الله الحرام في مكة المكرمة ، وفي أحداهمّ مراكز اللغة العربية منذ اقدم العصور ، فآدم هو الاسمر المشرب بياضاً أو الابيض المشرب سمرة ، وآدم كمفردة مأخوذة من الأدمة والأديم ، بمعنى الجلد والوجه والسطح ، وهذا يطابق فكرة ان الله خلق آدم على صورته ، كما ينطبق على ان اصله من تراب من اديم الارض ، وحواء . . هي الضلع الذي احيي ، وهي السمراء . . ايضاً . .

اما تواجد آدم وحواء ، في مناطق عربية ، وقريبة من بيت الله الحرام في مكة ،فحواء هبطت في جدة في الحجاز ، وازدلفت للقاء آدم في (المزدلفة) وتعارفا في (عرفات)[٢] . .

مما سبق ، يمكننا أن نقول ـ مع أن الغاية من تأليف هذا الكتاب لا تتجه هذا الاتجاه ـ ، ان اغلب ما ورد في الصفحات الهائلة التي يضمها كتاب اليهود المتداول في جميع انحاء العالم المعاصر ، هو منقول ، بعد التحوير والتشويه والاضافات ، من التراث الذي سبقه وهو تراث خاص بسكان هذه المنطقة العربية التي زرعها ابناؤه بالحضارات والقيم ، على مدار العصور التاريخية ، وكانوا السباقين الى الايمان والتوحيد ، ومن بوابات وطنهم الكبير ، شعّت الانوار لتضيء مساحة الارض ، والعالم . .



قصة آدم وحواء وإغراء الحية لهما في نقش سومري (ختم سومري) .

١ـ ورد موضوع النقش السومري في كتاب (مفصل العرب واليهود في التاريخ) ص ٤٢٧ ـ والكتاب من تاليف الدكتور أحمد سوسة .

٢ـ تمت الاستفادة من المعلومات الواردة في كتاب الدكتور احمد داوود (تاريخ سوريا القديم) طبعة أولى ١٩٨٦ ـ الصفحات ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ١٠٨ واخذت صورة النقش السومري من الصفحة ١٢٩ .

المرأة
في
العهد الجديد

- عذراء النساء
- عيسى . . والنساء
- تعاليم . .
اضافية
- المراجع والهوامش . .

عذراء النساء

((هوذا العذراء تحبل وتلد[1] . .))

على عكس الاسطورة السومرية ، وسفر التكوين التوراتي ، وحديثهما حول ولادة المرأة من ضلع الرجل ، فهاهي الانثى العذراء تلد رجلاً ، ليس كمثله بين الرجال . .

إنه (بشارة الله) الى مريم ـ عذراء النساء الطاهرات ـ ومخلص الانسان من شرور اتباع العهد القديم الذين عاثوا فساداً في الاديم المقدس وما حوله ، حتى ضاقت الارض بآثامهم وجرائمهم . .

ويأتي (العهد الجديد) ، عهد عيسى ابن مريم ، مؤيداً ومؤكداً لما جاء (تالياً) في القرآن الكريم :

((. . اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم[2] . .))

فها هو الرجل ، الذكر الذي انتزع منه احد اعضائه ، ليكون امرأة من جسده ولحمه ، يبزغ من رحم لم يعرف رجلاً من قبل ،ليقود الخطاة إلى الخلاص ، في عصر عمّت فيه الخطيئة ، وهاهو الملاك (جبريل) يحمل بشارة الله الذي في السموات ، الى مكان صغير في الارض ، اسمه (الناصرة) ، فيخفق قلب العذراء المؤمنة القانتة التي نذرتها امّها لله وهي في احشائها ، وتصيبها الحيرة والقلق ، كعذراء لم تتزوج بعد ، فكيف لها ان تلد طفلاً ، كغيرها من الاناث ، ومامسّها بشر قط؟ . .

كانت مريم مخطوبة لرجل يدعى (يوسف) ، استسلم لمشيئة ربه ، ـ وكان مؤمناًـ ، عندما سمع النبأ ، ورحل بخطيبته من الناصرة إلى بيت لحم ، فلم يجدا مكاناً يأويان اليه ، مما اضطرهما الى المبيت في احدى الحظائر البعيدة عن المدينة التي كانت تنتظر ولادة (صبي) يعيد الى الارض المقدسة ، ما فقدته على ايدي تجار الفضة والذهب ، من كهنة وبغايا ومفسدين . .

وهناك ، في تلك الحظيرة المهجورة ، وقد خيّم الظلام الكئيب ، جاء مريم . . المخاض . .

ويلخّص انجيل متى ، تفاصيل حادثة مريم ، بعدد قليل من الكلمات :

((. . كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس . ص ٣ . .))

((يايوسف ابن داود لا تخف ان تأخذ مريم امرأتك ، لان الذي حُبِلَ به فيها هو من الروح القدس . ص ٤ . .))

وهكذا ، منذ الصفحات الاولى . في العهد الجديد ، يتجاوز الكتاب المقدس جميع اساطير الاولين التي حاولت الغوص في موضوعة خلق المرأة ، فلا يشير بكلمة واحدة ، الى صورة التكوين التوراتي ، تنفيها أو تؤكدها ، فالمرأة الاولى هي : الأم ، ولاتعريف آخر لها ، ولا محاولة للخوض في هذا اللغز القديم الذي اعيا عقول البشر ، منذ فكر الانسان بالمرأة . .

ان المخاض الذي فاجأ مريم العذراء ، في الحظيرة النائية ، هو

بداية لتفكير مغاير ، لا علاقة له بكل ما سبقه ، من دعاوى واساطير حول المرأة ، فلم يسبق ان وضعت انثى بكر طفلاً في التاريخ المعروف ، ولم يكن ممكناً في عهود ما قبل التاريخ وعصوره السحيقة ، ان يتصور العقل الوثني معقولية هذا الحدث الالهي ، إذ كيف لرحم لم يمسسه بشر ان يملأ ، وينجب ، في تلك العصور التي كانت تصنع آلهتها؟ . .

إن ولادة عيسى ابن مريم ـ ابن الحظيرة المقدس ـ هي بداية عهد انساني ، يتجاوز ما قبله ويضيف اليه ، ويرسم ملامح لصورة حديثة ، لانسان ومجتمع تصبو اليهما عيون البشرية التواقة الى الافضل . . والاكمل . .

عيسى . . والنساء

. . من هذا المهد الجديد ، والرؤية الجديدة ، تنبع تعليمات ابن مريم ، في كل ما يتعلق بالمرأة ، ونجد فيها صورة بديلة لما حملته وحبلت به القرون الماضية ، من تكوينات لا تصمد امام العقل ، او تلبي احتياجات الانسانية ، إلى القطب الثاني والاهم في الحياة . .

إن المرأة التي تطلّق وتزني وترجم حتى الموت ، ويوقع بها المفسدون اشدّ العذاب ، وتسام مرّ المعاملة ، وتقاد الى المذابح وضفاف الانهار ، والضحية الدائمة لنزوات الرجل ورغباته ، ليست هي المرأة التي نتعرف ملامحها وسماتها في هذه التعليمات . وعلى الرغم من ان عدد الشخصيات النسائية ، في حياة السيد المسيح ،

لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة ، وهو الذي لم يتزوج أو ينجب أولاداً أو يؤسس سلالة ، إلا ان هذا العدد الضئيل ، يجسّد الرؤية الجديدة لوضع الانثى ، كمخلوق قهرته ظروف وقيود المجتمعات القديمة الغارقة في ظلام الوثنية وعبوديتها ، فلنتأمل خارطة النساء في (الكتاب المقدس) ، ولنتعرف ملامحهن واوضاعهن ، وعلاقة عيسى الرجل . بهنّ ، كاناث . .

ولعلّ اوضح ما يلفت انتباهنا ، في هذه الخريطة الصغيرة التي نتأملها ، امران يبرزان بشدة ، اولهما : ان اسم (مريم) تسمّى به أغلب النساء اللواتي ارتبطت سيرهنّ بسيرة ابن مريم . الام ـ مريم ـ تلك العذراء الطيبة التي بشّرها الملاك جبريل بغلام ، وتلك الخاطئة (مريم) التي احبّت كثيراً وغسلت قدميه بالطيب ، ثم مريم المجدلية ذات الشياطين السبعة ، واخيراً مريم ام يعقوب . .

مع النساء الاربع ، وإلى جوارهن نقرأ اسم سالومة ، ويونا ، واليصابات ، وليس في الانجيل سوى هذه الاسماء . .

الامر الثاني الذي ظهر بارزاً ، عبر صفحات العهد الجديد ايضاً ، هو تجاور صورتي المرأة الخالدتين :الخير . . والشر .صورة المرأة الطاهرة التي يعمر الايمان قلبها ويفيض على ما حولها ، وصورة المرأة المذنبة المدانة ممن حولها .

انهما الصورتان المثلتان للمرأة على مرّ العصور .صورة المرأة التي كرّمتها الآلهة ، لتكون نداً لها وواحداً منها ، والصورة الاخرى المقابلة وقد شوّهتها طقوس المجتمعات الغارقة في وحل الوثنية

واوشابها . .

هذان الامران يبرزان في الكتاب المقدس ، ويجسدان رؤية العهد الجديد للمرأة ، الرؤية البديل ، لكل ما سبقها ، فالام (مريم) الام والعذراء الاولى في التاريخ البشري ، خطيبة يوسف ، وام الطفل البشارة ، تلك التي اخبرتها الملائكة أن الله يبشّرها بكلمة منه : (اسمه عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين)[٢] . .

وتقول لها :

(مباركة انت في النساء ـ انت ستحبلين وتلدين ابناً وتسميه يسوع . .)[٣] .

بعد الام الطاهرة . وعلى التوازي معها ، يقصّ الانجيل حكاية امرأة اخرى .لم تكن عذراء ، لكنها عاقر ومتقدمة في السن اسمها اليصابات من بنات هارون وزوجة الكاهن زكريا[*] .

هذه المرأة المؤمنة الصابرة . تحملت مع زوجها المؤمن طويلاً ، وصبرا حتى اذن الله ، وارسل اليهما (ملاك الرب جبريل ليبشّرهما)[٤] ، ـ كما مريم ـ ان المرأة العاقر ستلد ذكراً وتسميه (يوحنا)[xx] .

إن صورة المرأة تتكرر ، كنموذج في ايمانها وطهارتها ، كرد إلهي على اساطير الاولين ، وفي هذه الصورة تأكيد على دور المرأة الكبير ، وهي تلد الانبياء والرسل وتتلقى البشارة الالهية .

* ـ وهو النبي زكريا .

xx ـ يوحنا المعمدان هو النبي يَحيى

اما الصورة الثانية للمرآة . صورة الانثى الفاسقة الفاسدة التي احتفت بجسدها وفتنتها جميع العصور الوثنية ، وكرستها كمتعة وملهاة لصالح الذكر/ السيد ، فالانجيل ، أو ما جاء به عيسى ، يمثّل موقفاً مغايراً لما كان ، لانّها ـ اي الانثى ـ ليست الخاطئة الوحيدة ، ولهذا فلها حق الغفران .

لنتأمل القصتين التاليتين ، فندرك عمق الموقف الانساني الذي يمثله موقف السيد المسيح من الخطيئة والخاطئات ، مما يعدّ انقلاباً كاملاًفي المفاهيم السائدة في تلك الايام .

تقول القصة الاولى :

((جيء بامرأة زانية ، يحفّ بها الرجال وعابرو السبيل ، الى السيد المسيح ، وقيل له .

ـ هذه المرأة أُمسكت وهي تزني ، وموسى في الناموس اوصانا إنَّ مثل هذه ترجم . . كانت الخاطئة ترتجف خوفاً ، وعيون الحاضرين تسوط جسدها بنظرات حاقدة ، كنظرات الذئاب الجائعة .فقال لهم السيد المسيح .

ـ من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولًا بحجر . . فذهبوا . واحداً وراء الآخر ، وبقي يسوع معها . قال لها :

ـ انا لاادينك ((اذهبي ولا تخطئي[٥]))

وتقول القصة الثانية :

((ان احدى الخاطئات ، دخلت على عيسى ، وهي تحمل قارورة عطر ، فغسلت بالطيب قدميه وبللتهما بدموعها ، وقد اشبعتهما

لثماً ، فخاطب الذين حوله قائلاً :

ـ غفرت خطاياها الكثيرة . . لانها احبّت كثيراً[٦] . .))

إن نظرة السيد المسيح الى الانثى ، مملوءة بالحب والغفران والتسامح ، لكن ذلك لا يعني ان السيد المسيح ، اباح لها ان تمارس البغاء والزنا ، بل انه في نظرته تلك ، كان يقرر موقفاً انسانياً ، لم تكن المرأة قد وضعت فيه أو عرفته ، فهي بفعل ظروف قاسية وشرسة وخارجة عن ارادتها وتكوينها ، وجدت نفسها ، كجميع المظلومين ، في موقف لا تحسد عليه ، لهذا حرّرها السيد المسيح من هذا الموقف الظالم ، وخلّصها من عبوديته ، واتاح لها فرصة التوبة التي كانت تنتظرها وتبحث عنها ، بعد أن زوّدها ـ مخلصها ـ بالمعرفة اللازمة . .لنستمع اليه يعظ حوارييه واتباعه :

((قد سمعتم انه قيل للقدماء : لاتزنِ . .

وأما أنا فأقول لكم :

ـ إن كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها ، فقد زنى بها في قلبه[٧] . .))

ولعل في موقفه من الطلاق ، ماهو ابلغ من اي كلام ، في احترامه للانثى ، وتقديره لمكانتها في الحياة الانسانية :

((قيل من طلّق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، واما انا فأقول لكم انّ من طلّق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني ، ومن يتزوج مطلقة فانه يزني[٧] . .))

وقد سأله الفريسيون حول هذا الموضوع ، وهل يحلّ للرجل أن

يطلّق امرأته ، لان موسى اوصى ان يكتب كتاب طلاق فتطلّق ، فأجابهم :

ـ ان موسى ((من اجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية ـ الذي جمعه الله لا يفرقه انسان ـ من طلّق امرأته وتزوّج باخرى يزني عليها ، وان طلّقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني[٨] . .))

تعاليم اضافية :

. . يتابع (بولس الرسول) ماجاء به عيسى ابن مريم ، فيوّجه عدداً من الرسائل إلى أهل رومية وكورنثوس وغلاطية وافسس وكولوسيّ، واخيراً إلى تيموثاوس ، ونجد في هذه الرسائل ، تعاليم وتوجيهات ، تأخذ صيغة الخطاب ، ويمكن أن تكون شروحاً وتفسيرات واضافات ، استقاها بولس من العهد القديم (التوراة) او السيد المسيح ، مما لم يدوّن في اناجيل التلامذة الآخرين . .

في الرسالة الى اهل رومية ، يبيّن بولس وضع المرأة المتزوجة في حياة زوجها وبعد موته :

((ـ ان المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحي ، ولكن ان مات الرجل فقد تحررت . .

ـ مادام الرجل حياً تدعى زانية ان صارت لرجل آخر ، ولكن ان مات الرجل فهي حرة ، حتى انها ليست زانية ان صارت لرجل آخر[٩] . .))

ويحدّد في الرسالة الاولى الى اهل كورنثوس ، واجبات الرجل

والمرأة ، وضرورة العلاقة الزوجية .فيقول[١٠] :

((حسنٌ للرجل أن لايمسَّ امرأةً ، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها .ليوفِ الرجلُ المرأةَ حقها الواجب وكذلك المرأة ايضاً الرجل ـ ليس للمرأة تسلّط على جسدها بل للرجل ، وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط على جسده بل للمرأة ـ التزوج اصلح من التحرق ـ لاتفارق المرأة رجلها ، وان فارقته فلتلبث غير متزوجة او لتصالح رجلها ، ولا يترك الرجل امرأته ـ انت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال . انت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة ، لكنك وانت تزوجت لم تخطىء ، وانت تزوجت العذراء لم تخطىء ـ بين الزوجة والعذراء فرقاً .غير المتزوجة تهتم في ما للرب . المتزوجة تهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها[١٠] . .))

ويرد في هذه الرسالة ، جواز اقتران المؤمن والمؤمنة من آخرين ليسوا بمؤمنين :

((ـ ان كان اخٌ له امرأة غير مؤمنة ، وهي ترتضي ان تسكن معه فلا يتركها ، والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي ان يسكن معها فلا تتركه ، لان الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة ، والمرأة غير المؤمنة مقدسة في الرجل[١٠] . .))

وتشرح الرسالة نفسها ، كيفية الصلاة في بيوت العبادة ، بالنسبة إلى النساء ، مع بعض الآداب التي يجب أن يتحلين بها :

((لتصمت نساؤكم في الكنائس لانه ليس مأذوناً لهنّ أن يتكلمن بل يخضعن ـ ولكن ان كنّ يردن ان يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن في

البيت لانه قبيح بالنساء أن (تتكلم) في كنيسة ـ كل امرأة تصلّي أو تتنبأ ورأسها غير مغطّى فتشين رأسها لانها والمحلوقة شيء واحد ـ خلقت المرأة من اجل الرجل ـ هل يليق بالمرأة ان تصلّي الى الله وهي غير مغطاة؟ـ المرأة ان كانت ترخي شعرها فهو مجد لها لان الشعر اعطي لها عوض برقع[11] . .))

ويحضّ بولس في رسالته الى اهل افسس، على التزام النساء بالطاعة المطلقة لرجالهن ، ويوصي الرجال بمحبة نسائهم والاخلاص لهنّ :

((ـ ايتها النساء اخضعن لرجالكن كما الرب ـ))

ـ كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء ـ

ـ ايها الرجال احبّوا نساءكم .

ـ يجب على الرجال ان يحبّوا نساءهم . . ك جسادهم . من يحب امرأته يحب نفسه . .

ـ يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً*[12]ـ))

ويؤكد هذا المعنى في رسالته الى اهل كولوسيّ :

((ـ ايتها النساء اخضعن لرجالكن . ايها الرجال احبّوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن[13] . .))

ويلاحظ في رسالته ، الى اهل غلاطية ، ان بولس يعيد ما قاله العهد القديم ، ويذكرنا بحكاية الجارية والحرة فيقول :

* ـ هذا الكلام ورد حرفياً في التوراة . الصفحة السادسة ـ الاصحاح الثاني ـ سفر التكوين .

((ـ اطرد الجارية وابنها . .

لايرث ابن الجارية مع ابن الحرة[١٤])) . .

والنص يذكّر بما جرى مع النبي ابراهيم ، وقصة زوجتيه (سارة وهاجر) وهاجر الجارية هي ام اسماعيل جد العرب ، ولم يخفِ اليهود في مدوّناتهم ، كرههم لها ، ومحاولاتهم المتكررة الاساءة إليها ، لانها جارية . . وأثرنا الاشارة الى هذه الملاحظة ، لان جميع الاناجيل ، لم تنقل عن السيد المسيح مثل هذا الموقف ، على الرغم من انه امضى ايامه كلها وهو يعظ اتباعه ، ويتنقل بين جميع فئات الشعب ، واغلبهم من العبيد والخطاة والمظلومين . . ومااورده بولس في رسالته هذه ، يشير الى أن مصدره هو العهد القديم ، فالاناجيل كلها لم تتحدث حول الارث والعبيد والجواري ، وكذلك حول ولادة آدم وحواء ، وهي من موضوعات رسالة تالية ، وجهت الى تيموثاوس ، وفي هذه الرسالة ، يتابع بولس اقتفاء توجيهات العهد القديم ، والاستفادة من معلوماته ، ويمكن التأكد من ذلك بالرجوع إلى موضوع آخر من هذا الكتاب[١٥] . لنقرأ رسالته إلى تيموثاوس ونتأمل حديثه حول آدم وحواء وموضوعة الغواية :

((ان النساء يزيّنَّ ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لآلىء أو ملابس كثيرة الثمن ـ لتتعلّم المرأة بسكوت في كل خضوع ، ولكن لست آذن للمرأة ان تعلِمّ ولا تتسلط على الرجل ، لأن آدم جبل أولاً ثم حواء ، وآدم لم يغوَ لكن المرأة اغويت[١٦]))

إن ماورد في الرسالتين ، حول الارث وا لجارية وآدم وحواء والاغواء الذي تعرضت له المرأة . كل هذا لم يتم تناوله او الاشارة إليه في جميع الاناجيل ، ولم يأتِ أيٌ من تلامذة المسيح الآخرين على ذكر هذه الموضوعات ، وهم الذين رافقوه منذ تنكّب سبيله ، وحتى النهاية ، كما ان السيد المسيح لم يطرد الخاطئة ، وهي اكبر جرماً من الجارية التي لا ذنب لها ، ولم ترتكب ما يجعلها قمينة بالاهانة والغضب ، وحرمانها مما تستحق ، وخاصة إذا تذكرنا مواقف السيد المسيح من النساء ونظرته المملوءة بالحب والغفران والتسامح ، إلى الخاطئات منهن .

اننا نرجح ، ان المصدر الذي اعتمده بولس الرسول ، عند صياغة هاتين الرسالتين هو كتاب التوراة ، لأن هذا الكتاب كان ما يزال يتمتع بسلطان كبير ، في ذلك العهد البعيد ، قبل أن تنتشر مبادىء العهد الجديد ، بما تحمله من رؤية جديدة ، للواقع الانساني ، وواقع المرأة على وجه الخصوص . .

المراجع والهوامش:

١- انجيل متى - الاصحاح الاول - ص ٣ .

٢- سورة آل عمران - ص ٤٣ - الآية ٤٥ .

٣- انجيل لوقا - الاصحاح الاول - ص ٩٠ .

٤- انجيل لوقا - الاصحاح الاول - ص ٨٩ .

٥- انجيل يوحنا - الاصحاح الثامن - ص ١٦١ .

٦- انجيل يوحنا - الاصحاح ٧ و ١١ - ص ١٠٥ - وص ١٦٨ .

٧- انجيل متى - الاصحاح الخامس - ص ٩ .

٨- انجل مرقس - الاصحاح العاشر - ص ٧٤ .

٩- اصحاح ٧ - ص ٢٥٤ .

١٠- اصحاح ٧ - الصفحات ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ .

١١- الصفحات ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٥ .

١٢- الاصحاح الخامس ص ٣١٧ .

١٣- الاصحاح الرابع ص ٣٢٨ .

١٤- الاصحاح الرابع ص ٣٠٩ .

١٥- موضوع: المرأة في التوراة - انبياء إسرائيل والنساء ..

١٦- الاصحاح الثاني - ص ٣٣٩ .

المرأة
في
القرآن الكريم

- تمهيد
- المرأة في جاهلية العرب
- المرأة في الاسلام
- هبات القرآن للانثى
- قصص النساء :
  - حكاية ام البشر
  - ملكة سبأ
  - المرأة الخاطئة
  - قصة الثوب الممزق
  - سيرة العذراء

تمهيد :

. . ربما كان الحديث عن المرأة في بلاد العرب* قبل نزول القرآن الكريم ، من الموضوعات التي تجعل الجدل يحتدم ، والآراء تتضارب وتصطدم ، حتى ليظن المرء أن سراً عظيماً في الامر ، وهذا السر يخفي من الاساءة اكثر مما يحوي من الفائدة ، لكن مما لاشك فيه ، ان وضع المرأة (الجاهلية) لم يكن جيداً كلياً ، ولم يكن سيئاً بالمقدار نفسه ، وان كنا نستبق الامور ونقول ان الاسلام والقرآن الكريم ، انصفا المرأة ، وغيّرا من حالها ، وهذّبا مما كانت تعاني ، وجعلوها صنواً للرجل لها ماله ، وعليها ما عليه . ومن الآراء التي تدفع إلى الحيرة والاضطراب ، آراء الدكتور شوقي ضيف في كتابيه (العصر الجاهلي - ثم - العصر الاسلامي) حول وضع المرأة قبل الاسلام وبعده .

في الكتاب الاول - العصر الجاهلي - يقرر الدكتور ضيف مايلي :

((فالمرأة لم تكن في الجاهلية مهملة ، بل كان لها قدرها عندهم ، كما كان لها كثير من الحرية ، فكانت تمتلك المال وتتصرف فيه كما تشاء . ص ٧٥ . .))

ويجيء في الكتاب الثاني - العصر الاسلامي - ليلغي مجمل الآراء

* - لابد ان نؤكد ان (بلاد العرب) هي الارض ذات الابعاد التاريخية الممتدة بين الخليج العربي ، والمحيط الاطلسي شرقاً ، وغرباً ، وبين جبال الاناضول والبحر المتوسط ، والمحيط الهندي (العربي) وتخوم القارة الافريقية شمالاً وجنوباً ، وهي الارض التي اغتنت بالحضارات منذ العصور القديمة ، واستقبلت جميع الكتب السماوية . .

السابقة فينسى ما قرره في الكتاب السابق ، حول القدر والحرية والمال ، وجميع الميزات الاخرى التي تمتعت بها المرأة في الجاهلية حتى لا تكون (مهملة) فيقول :

إن المرأة ((كانت مهضومة الحقوق في الجاهلية . ص ٢١ . .))

وأمام هذين الرأيين المختلفين ، نجد لزاماً علينا ان نوضح أن وضع المرأة ـ ان كان جيداً أو سيئاً ـ في الجاهلية ، لا يقلل من عظمة الدين الاسلامي ، وفضله الكبير على المرأة ، كما أن وضعها بعد نزول القرآن الكريم ، وانتصار الدعوة الاسلامية ، وشمولها لمعظم مساحات العالم المعروف ، ومع كل ما حباها به الاسلام والقرآن الكريم ، من مزايا ومكاسب ، لم يردع (الذكر) الذي انشأ نظام الحريم والجواري ، لهذا يشعر الدارس امام تضارب الآراء وتناقضها ، بكثير من الكدر ، ويخشى ضياع الحقيقة ، في ركام من فوضى الآراء ، والبعد عن الموضوعية المطلوبة ، في تقصي هذه الحقيقة التي لابد من استجلائها ، والاحاطة بها ، مهما كانت العقبات والصعاب ، ومهما تطلب ذلك من تضحيات غاليات .

ولعل من البديهي ، ان تكون المرأة في بلاد العرب ، منذ بدأ التاريخ ، وقبل أن يدوّن ، وحتى نزول الوحي على النبي العربي محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، قد عانت مما تعرضت له بنات جنسها من الاناث البشريات ، في مختلف الاماكن والاصقاع ، فارتفعت الى ذروة المجد وارتقت عرش القداسة ، أو عوملت معاملة

الشاة ، كسبية وضحية وبغي ، ومن البديهي ايضاً أن هذه المرأة تأثرت قليلاً أو كثيراً في العهود الوثنية ، وتعرّفت كما تعرّف مجتمعها البدائي أو المديني او الوثني الى ديانات واساطير الشرق القديمة كلها ، واثرت تلك الموروثات فيها كما اثرت في بنى وتكوينات المجتمعات القائمة ، وخضعت لكل الشروط والظروف التي سبقت انتشار الاديان السماوية ، وما جاء اولاً في كتاب موسى ، وكتاب عيسى تالياً ، مع التذكير ان الكتابين نزلا في هذه المنطقة ، وكان لابد ان تنتشر بعض تعاليمهما ، بصورة أو باخرى ، لتلامس الوضع القائم الذي يحيط بالمرأة ، ويتحكم في مصيرها ، وإن كنا لا نجزم بوجود تغيير ملموس وكبير نتيجة المواجهة التي يفترض انها تمت بين هذه التعاليم ، وبين الوضع السائد ، أو ان ما حدث يصح ان نطلق عليه صفة التغيير او التحريك ، وربما كان مجرد (ملامسة) لان الكتابين وبما تضمناه من تعليمات وتوجيهات ، لم يقدما للانثى ما احتوى عليه القرآن الكريم . . ومع ذلك ، فنحن نرى ، أن وضع المرأة في جاهلية العرب ، كان مهيئاً للتأثر بما حمله كتاب الله الاخير للبشر ، وكان هذا الوضع مؤهلاً للترتيب ، والمشاركة مع الاوضاع الاخرى في الثورة الكاسحة والعظيمة التي فجّرها النبي العربي ، لتنسف بقايا العالم القديم ، وتعيد بناء الحياة الانسانية ، على اسس اكثر قوة وتماسكاً . .

المرأة . . في جاهلية العرب :

. . إن التاريخ العربي ، السابق للدعوة الاسلامية ، يشير إلى اسماء محددة ، تضيء في ذلك الليل الطويل المظلم ، كالنجوم الزاهرة ، واكثرها سطوعاً واشراقاً في التاريخ العربي والاسلامي ، ام المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج الرسول الكريم وام اولاده وسيدة النساء المسلمات . .

إن وجود هذه السيدة العظيمة ، في ذلك العصر ، يجعل الحديث حول وضع المرأة في جاهلية العرب ، اكثر منطقية ومعقولية ، ويشير الى ان هذا الوضع لم يكن سيئاً كلياً ، وان كان (مريضاً) ويحتاج الى اصلاح ، وليس وجود الكاهنات والعاهرات إلا سمة تميز بها هذا الوضع منذ بدء الخليقة[*] ونحن نعرف ، كما يخبرنا التاريخ ، ان المرأة في جميع مراحل التاريخ ، عملت في المعابد ، وقصور الحكام ، وقدمت كضحية الى الآلهة ، ولهذا ليس مستغرباً ان نجد بجانب كهان العرب ، كاهنات من امثال (الشعثاء والكاهنة السعدية والزرقاء بنت زهير[1]) ، والى جوار الكاهنات ، وجدت النساء المنذورات والفقيرات لخدمة بيوت العبادة ، وهذه سمات عرفتها القرون القليلة السابقة للدعوة الاسلامية ، وعرفها العرب جيداً في بلاد الشام ، وما زلنا حتى

* ـ يلاحظ ان العصور القديمة ، اطلقت على الذين يعتكفون في المعابد ويمارسون الطقوس الدينية صفة (الكهنة) واستخدمت هذه الصفة في مدونات اليهود ، وفي اناجيل تلامذة السيد المسيح . .

اليوم نجد ان الخدمة في البيع والكنائس تقوم بها العذراوات والنساء ، ويخلصن لها مدى العمر ، وخصوصاً في الدول الاوربية ، والدول التي تضم بين رعاياها طوائف متعددة يأخذ بعضها بمبدأ (الرهبانية) . . وكان العرب في جاهليتهم ، كغيرهم من الشعوب ، يستفيدون من المرأة ، فهي مصدر للحياة ، ومصدر للمتعة ، وكما كانوا يسترقون الذكور ، كانوا يسترقون الاناث ، وكانت المرأة أما حرّة ، تقوم باعمالها المنزلية ، وتختار بعلها ، وتشارك في الحرب ، اي تملك حريتها ، وتسهم كالرجل في خدمة القبيلة والمجتمع ،وفي المقابل ، كانت هناك الاماء ، وكان منهن العاهرات والمغنيات ، وخادمات المنازل وراعيات الماشية ، وكنّ ادنى من الشريفات بطبيعة الحال ، ولا ينسب اولادهن إلى آبائهم ، وقد كان العصر ، عصر قبائل ، يكثر فيه الغزو والسلب والنهب والسبي ، ويسقط القتلى ، وتشرّد الاسر والافراد ، وكان لابدّ من وجود اسرى وسبايا ، كما كان الفقر والحاجة ، عاملاً ثانياً في استرقاق الرجل والمرأة على السواء ، ولهذا نجد كثرة في العاهرات ، هن نتاج الحروب المستمرة ، والوضعين الاجتماعي والاقتصادي السيئين . . وكما عرف ذلك العصر لذعة الفقر وذل السبي ، عرف قسوة الظلم ووحشية الطغيان ، وهذا ايضاً من سمات المجتمعات البدائية ، وكما عرفت المرأة الرق والسبي ، عرفت الظلم والوأد ، خوفاً عليها من الاغتصاب والعبودية ، في مرحلة كانت القوة الجسدية هي الفيصل في احقية الانسان بالوجود والحياة .

وهكذا . . التقت الانثى المقهورة ، المستلبة والمهانة ، مع العبيد والفقراء ، ، لتشارك في الثورة العظمى التي بشّر بها القرآن الكريم . .

المرأة . . في الاسلام[٢] :

. . عندما يقال ان القرآن الكريم نظّم وضع المرأة واعاد ترتيب حقوقها وواجباتها ، يتبادر الى الذهن ، ان المفردات السابقة قاصرة عن استيعاب ماقدمه القرآن والاسلام للمرأة . ان وأد الانثى قبل ان يدفأ جسدها في المهد وحرمانها من حق الحياة ، أو زواج المرأة من خمسة رجال ويمكن تسمية ذلك (بتعدد الأزواج) ، والتسيب في علاقة الرجال بها . . هذه الامور وغيرها كثير ، تحتاج الى ما هو اكثر من التنظيم واعادة الترتيب . .

قبل هذا ، لاننسى ان الحرية التي كانت تتمتع بها تلك المرأة ، والعبودية التي كانت ترسف في اغلالها ، كانتا ـ الحرية والعبودية ـ كمفهومين يعانيان من الاختلال وفقدان المصداقية في ذلك الزمن ، اذ يأخذ النقيضان مداهما الاقصى ، ويفرضان على العقل الانساني حالة من الانبهار والدهشة . أي فوضى وقلقلة وضياع وجد وضع المرأة هذه استقراره في ذلك العالم؟ . ويزداد الادهاش والانبهار ، والمرأة التي تتمتع بالحرية والشرف والكرامة ، تساق ذليلة ، ممزقة الثياب ، امام الاحداث المتوقعة دائماً ، لتنضم الى رعيل العبودية السوداء ، وقوافل العاهرات المباحات .

لم ينظّم الاسلام وكتابه وضع المرأة المضطرب فحسب ، بل اعاد تشكيل الحياة بكل وجوهها المختلفة من حولها ، وعقلن العلاقات التي تلعب بمصيرها ، وضبطها بشكل ابدي لا تؤثر فيه النزوات أو تقلبات

الاحداث والزمن ، مهما كانت عاصفة ومدمرة ، واعطى هذا الوضع الذي لم يعرف الاستقرار ابداً ، استقراراً طبيعياً وكاملاً . ومن هذه النظرة الشاملة لما حدث ، يمكن ان نفهم موضوعات من مثل : اعادة حقوق المرأة ، ومساواتها بالرجل ، لها ماله من هذه الحقوق (ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف) (وللرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) ولانهنّ اصبحن مساويات للظالم الاكبر ، ابن العصر الوثني/ الذكر ، كان لابد من تقليم اظافر هذا الظالم التاريخي ، ووأد حريته المطلقة في وأد البنات وحرمانهنّ من الحق الالهي في الحياة :

((وإذا بشّر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به ايمسكه على هون ام يدسّه في التراب الاساء ما يحكمون . .))

ان الرجل الذي يقتل ويغتال فلذات أكباده وأحّر أنفاسه ، لا يتورع عن فعل الفحشاء مع النساء الساقطات ، وممارسة البغاء في كل مكان وزمن ، ويجيء تحريم الكتاب الكريم لهذه المزية الذكورية ، ضربة قاصمة لسلطان الرجل الجاهلي ، وطغيانه الوحشي ، ولم يكتفِ الكتاب بالتحريم والجلد وانما شدّد العقوبة حتى بلغت حد القتل ، وعمل القرآن على ترغيب الذكور والاناث عن طريق العلاقة الشرعية :

((ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها . .))

وعلى هذا الطريق القويم ، وفي سبيل علاقات اكثر استمرارية واكثر نقاء ، تشدّ بنيان المجتمع الجديد ، نجد ان الرسول العربي الحكيم ، يتابع ما اختطه القرآن في سفر الاسلام ، فيقول في خطبة حجة الوداع :

((ان لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم وان لا يدخلن احداً تكرهونه بيوتكم إلا باذنكم ولا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبّرح - وانما النساء عندكم عوان(*) لا يملكن لانفسهن شيئاً . اخذتموهن بامانة الله فاتقوا الله في النساءواستوصوابهن خيراً . .))

هبات القرآن للانثى :

. . وهب الله المرأة كل مايمكّنها من القيام بدورها ، وتأدية وظيفتها كأم ، ومصدر للاستمرار والبقاء ، فاعطاها ما يكفل لها حياة كريمة كصنوها الرجل ، وفرض عليها ما يناسب امكانياتها وقدراتها ، واتاح لبنات جنسها المشاركة في صنع الحياة ، والحياة العامة ، ونحن لو تأملنا صفحات التاريخ الاسلامي كلها ، فاننا سنجد في كل صفحة منها ، ان دور المرأة المسلمة لا يقل عن دور الرجل المسلم ، ولعل

* - عوان - اسيرات . .

الذروة التي وصلت اليها ، بفضل هذا الدين ، هي مشاركتها الرجل في الجهاد لنشر مبادىء الدين وتعاليمه ، وهذه الذروة هي اقصى ما وصلت اليه المرأة عبر تاريخها الطويل .

ولم تكن المكاسب التي تحققت للمرأة ، هي نتاج نضالها وكفاحها في هذا السبيل ، بل كانت هبات منّ بها الله عليها ، واحتفى بها كتابه العظيم الذي لم يترك شاردة أو واردة إلا تناولها ، واوجد لكل ذلك الضوابط والقوانين ، لتكون الفيصل الاخير ، في كل ما يتعلق بالمرأة وشؤونها ، من اجل ان تكون عنصراً فاعلاً ومؤثراً في المجتمع ، فالمرأة يجب ان تعيش حرة ، موفورة الكرامة ، تعمل وتملك وتتزوج وتنجب الاطفال ، وعندما تخطىء ، كما يخطىء الرجل ، تحاسب مثله تماماً ، وتتلقى العقوبة التي تقوّم اعوجاجها كمخلوق عرضة للخطأ والصواب ، لهذا فهو يحضّها على السلوك الحسن ، والحشمة ، والعفاف ، والمحافظة على جسدها ، ونقاء رحمها وصيانته ، ويطالب الرجل بالمثل ، حتى لا يتحوّل المجتمع إلى بؤر للرذيلة والفساد . .

ولكي لايكون لعباد الله حجة ، يبدأ بنبيه الكريم محمد بن عبد الله (صلعم) فيبعث توجيهاً إلى نسائه فهنّ لسن (كاحد من النساء) والتي تأتي بفاحشة يضاعف لها العذاب ، ولا يجوز لهنّ ان يتبرجن (تبرّج الجاهلية الاولى) وقد احلّ الله للنبي ازواجه اللواتي آتاهنّ اجورهنّ وما ملكت يمينه ، والنساء اللواتي يهبن انفسهن له ، ويشير إلى زوار بيت النبي ، ان يخاطبوا نساءه من وراء حجاب ، ويحضّ الرسول على الاهتمام بلباس النساء ، فيطلب اليه قائلاً :

((ياايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً[٣] . .)

ومن آداب السلوك في الاسلام ، وهي ماتحتفي بها جميع سور الكتاب وتحضّ عليها النساء ، ان تغضّ المؤمنات ابصارهن ، ويحافظن على فروجهن ، وان لا يبدين زينتهن إلا لازواجهن ، ولا يضربن بارجلهن للفت الانظار إلى هذه الزينة[٤] . .

أما موضوع الطلاق في الاسلام ، فهو أبغض الحلال الى الله ، ولكن لا جناح في اجرائه ، على ان يتم تسريح النساء بمعروف ، أو امساكهن بمعروف[٥] مع وجود الحجة المبينة التي لا تقبل الاحتمال أو التأويل :

((ياايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة ، واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا ان يأتين بفاحشة مبينة ـ ١ ـ فإذا بلغن اجلهن فامسكوهنّ بمعروف أو فارقوهنّ بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله))[٦] . .

وشرح كتاب الله كيفية التعامل مع الناشزات ، واتاحة الفرصة لهن ، لكي يصلحن من امورهن ، ويهذبن من سلوكهن ، ويعدن الى الصراط المستقيم :

((فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً . ان الله كان علياً كبيراً . .)[٧]

وفي ذلك منتهى الرحمة والغفران ، والعدالة .

إن الطلاق الذي اقرّه كتاب الله للمسلمين ، لا يمكن وجوبه إلا ببيّنة مؤيدة بشهادة ذوي عدل مع اقامة الشهادة لله ، والناشزات من النساء المتزوجات لا يجوز طلاقهن وايقاع الظلم عليهن ، في حال الرجوع عن الخطأ والامتثال لازواجهن . .

اما موضوع مساواة المرأة بالرجل ، فهو مما لا خلاف حوله في الشريعة الاسلامية ، والقرآن الكريم حسم كل جدل في هذا الموضوع ، ولم يفرّق بين الرجل والمرأة ، في العمل الصالح والايمان ، ولعلّ ابلغ دلالة على هذه المساواة ، ما نجده في قوله تعالى ، من مساواة مطلقة ، ليس على الارض فقط ، انما في جنان السماء . .

((والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً[٨] . .))

((من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون[٩] . .))

((من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب[١٠] . .))

وكما ساوى بينهما في الاجر والثواب ، ساوى بينهما في الجزاء والعقاب :

((الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة ـ ٢ ـ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ـ ٣ ـ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة

ولا تقبلوا لهم شهادة ـ ٥ ـ ان الذين يرمون المحصنات العاقلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ـ ٢٣ ـ[١١] . .))

واتاح الاسلام للرجال والنساء التمتع بالزواج وطيباته ، وبيّن لهم ما يجب ومالا يجب ، ومما اجازه في المعاشرة .

((نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم[١٢] . .))

((فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الاّ تعولوا[١٣] . .))

وسمح للرجل المسلم بالزواج من نساء اهل الكتب[١٤] . .

وفي سورة (النور) اوصى القرآن الكريم ـ على عكس جميع الديانات السابقة ـ في سبيل انصاف المرأة المظلومة والأخذ بيدها ، بالزواج من الايامى والفقيرات والاماء ، كما طلب إلى الرجال عدم اكراه بناتهم على البغاء مهما كانت الظروف . .

ومما حّرمه القرآن ، ووضع له الضوابط والقيود الصارمة ، للحفاظ على نظافة الانسان والمجتمع ، عدم معاشرة النساء في المحيض حتى يتطهرن ، وحرّم نكاح المشركات ، او الاذن لمشرك بنكاح مؤمنة[١٥] . .

((ولاتنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء[١٦] . .))

وحرّم على المسلم نكاح عدد من النساء ، كالام والبنت والاخت والعمة والخالة وبنات الاخ والاخت والمرضعات واخوات الرضاع ، وامهات الزوجات ونساء الابناء ، وكره الجمع بين الاختين :

((إلا ماقد سلف ان الله كان غفوراً رحيماً[١٦] . .))

اما الآية الجامعة المانعة لكل ماهو حرام ، ولكل ما هو حلال ، في القرآن الكريم ، بالنسبة لعلاقات الرجال بالنساء ، فهي الآية الكريمة :

((الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات[١٧] . .))

قصص النساء :

. . يشتمل الكتاب الكريم ، على مجموعة من القصص التي تتحدث حول النساء ، كقصة مريم العذراء ، وحواء ، وبلقيس ملكة سبأ ، والمرأة التي راودت يوسف عن نفسه ، وتتم الاشارة الى نساء آخريات ، كامرأة نوح ، وامرأة لوط في معرض الحديث عن بنات لوط (ياقوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله[١٨] . .)

حكاية ام البشر :

. . تروي قصة (آدم وحواء) سورتان كريمتان هما : سورة البقرة وسورة الاعراف ، ونلاحظ في السورتين تطابقاً في المفردات والمعنى تقريباً ، لكن القصة في السورتين تختلف اختلافاً واضحاً ، عما دوّنته اقلام كهنة التوراة ، حول سبب نزول الرجل والمرأة الى الارض ، فالتوراة وكتبتها يتحدثون عن حية محتالة (من احيل حيوانات البرية) ، تغوي حواء وتشجعها على اكل ثمار الشجرة المحرمة ، في

محاولة لتحميل الانثى وزر الخطيئة الاولى واظهار حواء ساكنة الجنة ، في مظهر يخدم اغراض الكاتب/ الذكر* ، أما القرآن الكريم ، فقد ساوى بين المخلوقين آدم/ وحواء ، واكد وقوعهما في الزلل معاً :

((وقلنا ياآدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ٣٥ـ فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ٣٦))[١٩] .

وتروي سورة الاعراف القصة على الشكل التالي :

((ياآدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ـ فوسوس لهما الشيطان . . الى آخر الآية ـ وعندما اكلا من الشجرة بدت لهما عورتاهما :

((وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهما كما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ـ قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ـ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ـ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها

* ـ ثمة اشارات الى هذه القصة في مواضع اخرى من هذا الكتاب . .

تخرجون . . يا بني أدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابو يكم من الجنة . . الى آخر الآية[٢٠] . .))

ملكة سبأ :

. . بلقيس ملكة سبأ ، كانت تعبد الشمس ، قبل ان تلتقي الملك سليمان الحكيم ، وتهتدي على يديه ، وتبدأ القصة وطائر (الهدهد) يحمل لسليمان من مملكة سبأ اخباراً عن امرأة :

((اوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ـ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان اعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون . .))

فيرسل الملك سليمان برسالة الى المرأة التي تسجد للشمس ، يدعوها فيها الى نبذ ما تعبد وعبادة رب العالمين ، فتعرض الامر على حكماء قومها لابداء الرأي والمشورة ، وبعدئذ تبعث بهدية ثمينة الى الملك الذي ينتظر ، فيتضايق سيد الطير والجن وكل ما في الارض ، ويطلب الى احد العفاريت الاقوياء ان يحمل الملكة (وعرشها العظيم) اليه ، فلعلها تهتدي ويدخل الايمان قلبها ، امام هذه المعجزة الفريدة .

((فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كأنه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ـ وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين ـ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير

قالت ربي اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين[٢١] . .))

المرأة الخاطئة :

. . اساء كتبة اسفار التوراة الى لوط كثيراً ، فانصف القرآن الكريم هذا النبي الصابر ، وبرأ ساحته مما حاول اليهود الصاقه به وببناته من السوء ، واحتفت سور الكتاب بقصة لوط واشارت اليها خمس من السور هي : هود ـ النمل ـ العنكبوت ـ التحريم ـ الحجر . .

ولعل اول الاخطاء التي ارتكبها اليهود وكهنتهم ، هو القول ان لوطاً لم ينجب سوى بنتين ، ويدحض هذا القول حديث لوط نفسه الذي جاء في الآية (٧٨) من سورة هود ((يا قوم هؤلاء بناتي . .))

ولاشك ان احداث التاريخ القديم ، ولعل اغلب ماوصل الينا من ذلك التاريخ ، قد اصابه الشيء الكثير من التشويه والحذف والاضافات ، في سبيل اغراض الحكام والكهان ، وخاصة كهنة اسرائيل وحاخامات اليهود ، وكما تعرضت احداث التاريخ للظلم ، تعرضت شخصياته ومنها (لوط) ولا ندري السر في محاولتهم تشويه سيرة هذا النبي والاساءة إلى بناته ، مع اغفالهم لدور زوجته في هذه السيرة ، ويبدو لنا بعد نزول القرآن الكريم ، ومعرفة دور هذه الفاجرة التي وضعت في منزلة امرأة نوح وعوملت مثلها (وكانت نهاية

الخائنتين ان تدخلا النار مع الداخلين) . أنّ ماتضمنه القرآن ، وافصحت عنه سوره وآياته ، يفسّر موقف اليهود من لوط وزوجته ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار موقفهم من انبيائهم كداوود وسليمان الحكيم وسواهما من الشخصيات العظيمة في التاريخ ، وغرامهم الشديد في تحوير الاحداث واختلاق احداث مغايرة ، خدمة لاغراضهم في النيل من خصومهم ، وتشويهاً للحقائق التاريخية التي تؤثر في معتقداتهم ، وتكشف ما خفي من اسرارهم ومباذلهم ، ومما يدفع الى الظن وحتى اليقين ، ان امرأة لوط لم تكن ببعيدة عن اهتمامات وتأثيرات الذين عملوا لتلويث سمعة بعلها والمساس بشرف بناتها . وإلا بماذا نفسّر سكوتهم عنها ، واغفالهم لدورها ، على الرغم من سلوكها المشين؟ . .

لقد احتفت سور الكتاب السماوي الاخير كما سلفنا ، بوقائع قصة لوط ، ذلك النبي الذي احتمل ظلم العبرانيين الغاشم ، واشارت الى هذا الظلم المبين ، خمس من السور هي : هود والنمل والعنكبوت والحجر والتحريم ، ودحضت اقاويل الكذبة وكهنتهم ، وهاهو لوط يضيق ذرعاً بالرسل ، ويقول :

((هذا يوم عصيب ـ وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون ضيفي اليس منكم رجل رشيد ـ قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد ـ قال لو ان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد ـ قالوا يا لوط انّا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد إلا امرأتك انه مصيبها

ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب ـ فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلهـا وامطرنـا عليها حجـارة من سجيل منضود[٢٢] . .))

ونرى لوطاً في سورة أخرى يخاطب بني قومه ، ويشير الى ارتكابهم للفحشاء ، ومعاشرتهم للرجال من دون النساء ، فيكون جوابهم ان يخرجوه من القرية :

((فانجيناه واهله إلا امرأته[٢٣] . .))

وتعيد سورة العنكبوت[٢٤] بعض ماجاء في سورة هود ، وكذلك سورة الحجر* من ان لوطاً قد انجاه الله مع اهله باستثناء امرأته ، واهلك اهل قريته جميعاً جزاء ما كانوا يفسقون .

وتنتهي وقائع هذه القصة ، والله تعالى يضرب مثلاً للذين كفروا ، فتسطع طهارة لوط وبناته ، وتوصم امرأته بالخيانة ، وتعاقب على ما اقترفت من ذنوب بما تستحق :

((ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين[٢٥] . .))

قصة الثوب الممزق[٢٦]

. . هاهو الصبي (يوسف) الذي كرهه اخوته ورموه في الجب ، يبلغ مبلغ الرجال ، عند رجل مصري ابتاعه ليقوم باعمال في منزله ،

* ـ الصفحة ٢١٢ الآيات ٦١ ـ ٧٤ .

ويعيش في كنفه ، فتقع امرأة الرجل المصري في غرام الشاب الصغير ، وتبدأ في ملاحقته وتضييق الخناق عليه ، ليبادلها ما تشعر به نحوه من وجد واشتياق :

((وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ، وغلّقت الابواب وقالت هيت لك[*] قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي . . ولقد همّت به وهّم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ..))

لكن المرأة التي اشعلها يوسف حباً ، لا تترك العبد المخلص ، فتلحق به وتتمسك بثوبه وتمزقه :

((واستبقا الباب وقدّت قميصه من دُبر والفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءاً إلا ان يسجن أو عذاب اليم ـ قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ـ وان كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين ـ فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم .

وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً انّا لنراها في ضلال مبين ـ فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكئاً واتت كل واحدة منهن سكيناًوقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاشى لله ما هذا بشراً

* ـ هيت لك: أي هلم . .

ان هذا إلا ملك كريم ـ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكون من الصاغرين . .))

سيرة العذراء :

. . ترد قصة مريم العذراء ، في سورتين من سور القرآن الكريم ، هما (آل عمران) والسورة المسماة باسمها ، اضافة الى الآية الاخيرة من سورة التحريم . .

وتبدأ سيرة مريم ، وامرأة عمران تنذر ما في بطنها لله :

((إذ قالت امرأة عمران ربي اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك انت السميع العليم ـ فلما وضعتها قالت ربي اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ـ فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاًقال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ـ واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ـ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ـ إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ـ قالت ربي انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون[٢٧] . .))

وفي سورة التحريم ، يذكّر كتاب الله بايمان مريم وطهارتها :

((ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمة ربها وكتبه وكانت من القانتين[٢٨] . .))

وتبلغ سورة مريم ذروتها العظمى ، وهي تتلقى كلمة ربها وبشارته ، في السورة المسماة باسمها ، وقد جاءها رسول بعد ان انتبذت مكاناً شرقياً ، ليخبرها ان الله وهبها ما لم يهبه لانثى قط :

((واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً ـ فاتخذت من دونهم حجاباً فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ـ قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً ـ قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً ـ قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغياً ـ قال كذلك قال ربك . . الى آخر الآية . .))

وهاهي مريم القانتة الطاهرة التي احصنت فرجها ، تتمنى لو انها لاقت حتفها ، قبل ان يحدث ما حدث . عذراء لم تعرف رجلاً ، والمخاض يأخذ بها ، وتحتها ما يؤكد ان الامر اكبر من كل الامور ، واعظم من ان يدارى او يخفى ، فصوت الصبي يهتف بها ، كصوت الحقيقة الذي تخفت امامه كل الاصوات :

((فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ـ فجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا ـ فناداها من تحتها لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ـ وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ـ فكلي واشربي وقري عيناًفأما ترين من البشر احداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم انسياً . .))

تتحرك مريم الام ، وهي تحمل الحقيقة الساطعة ، بشارة الله العظمى ، الى البشر الضالين ، ولم يكن في مقدورها ان تخفي نور الله أو تستأثر ببشارته وكلمته .

((فاتت قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ـ يا اخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغياً ـ فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ـ قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ـ وجعلني مباركاً اين ما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ـ وبرّا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ـ والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً ـ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ـ ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون[٢٩] . .))

المراجع والهوامش:

٥ـ القرآن الكريم ـ المطبعة العربية ـ كولونيا ـ دويتس ـ المانيا الغربية ـ الطبعة الثانية عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ م .

٥ـ د . شوقي ضيف ـ تاريخ الادب العربي/ العصر الجاهلي + العصر الاسلامي ـ طبعة دار المعارف بمصر (الطبعة الرابعة) .

١ـ العصر الجاهلي ص ٩٤ .

٢ـ يمثل هذا القسم مناقشة لما ورد في كتاب (العصر الاسلامي ص ٢١ ـ ٢٢)

٣ـ سورة الاحزاب ـ الصفحات ٣٣٦ ـ ٣٣٨ ـ ٣٤٠ ـ الآية ٣٧ ومابعدها الآية ٣٨ ـ الآيتان ٥٣ و ٥٩ . .

٤ـ سورة النور ص ٢٨٢ الآيات ٣٠ ـ ٣٣ .

٥ـ سورة البقرة ص ٣٧ الآية ٢٣٠ .

٦ـ سورة الطلاق ص ٤٤٥ .

٧ـ سورة النساء ص ٦٦ الآية ٣٤ .

٨ـ سورة النحل ص ٢١٩ الآيتان ٧١ ـ ٧٢ .

٩ـ سورة النحل ص ٢٢٢ الآية ٩٧ .

١٠ـ سورة غافر الصفحات ٣٧٦ الآية ٤٠ .

١١ـ سورة النور الصفحات ٢٧٩ ـ ٢٨١ .

١٢ـ سورة البقرة ص ٢٧ الآية ٢٢٣ .

١٣ـ سورة النساء ص ٦١ الآية ٣ .

١٤ـ سورة المائدة ص ٨٦ آية ٥ .

١٥ـ سورة البقرة ص ٢٧ آية ٢٢٠ ومابعدها .

١٦ـ سورة البقرة الصفحتان ٦٤ ـ ٦٥ من الآية ٢٢ ولغاية الآية ٣٥ .

١٧ـ سورة النور ص ٢٨١ آية ٢٦ .

١٨ـ سورة هود ص ١٨٣ آية ٧٨ .

١٩ـ سورة البقرة ص ٦ .

٢٠ـ ص ١٢١ من الآية ١٩ ولغاية الآية ٢٧ .

٢١ـ وردت قصة بلقيس في سورة النمل الصفحات ٣٠٢ ـ ٣٠٤ من الآية ٢٣ ولغاية الآية ٤٤ .

٢٢ـ سورة هود ـ الصفحتان ١٨٣ ـ ١٨٤ الآيات من ٧٧ إلى ٨٢ .

٢٣ـ سورة النمل ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ الآيات من ٥٤ إلى ٥٨ .

٢٤ـ ص ٣١٩ الآيات من ٣٢ إلى ٣٤ .

٢٥ـ سورة التحريم من ٤٤٨ الآية العاشرة .

٢٦ـ سورة يوسف الصفحتان ١٨٩ ـ ١٩٠ الآيات من ٢٣ إلى ٣٢ .

٢٧ـ سورة آل عمران الصفحات ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤ الآيات ٣٥ ـ ٣٧ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٥ ـ ٤٧ .

٢٨ـ ص ٤٤٨ الآية ١٢ .

٢٩ـ سورة مريم ـ الصفحتان ٢٤٤ ـ ٢٤٥ الآيات من ١٦ إلى ٣٥ .

اطلالة

اخيرة

مقارنات

- قصة ولادة المرأة الاولى . .
- المرأة . . والارث الشرعي . .
- الطلاق . .
- الزواج . .
- امهات الرسل . .

وزوجاتهم . .

مقارنات :

. . ربما كانت الصفحات السابقة من هذا الكتاب ، هي مقدمة كبيرة أو تمهيد واسع كانت الغاية منه ، الوصول الى نتائج ، لم يكن من الممكن الحصول عليها ، لولا هذا التمهيد الذي استغرق قراءة ماينوف على الفي صفحة ، هي مجموع صفحات الكتب المقدسة الثلاثة : التوراة والانجيل ، والقرآن الكريم . .

لكننا وقبل ان نباشر في عرض النتائج التي توصلنا الى استخلاصها ، والتي ستكون على شكل مقارنات ، نرى انه لابد من الاعتراف الكامل بان موضوع هذا الكتاب ، لم يطمح/ في بدايات التفكير في تأليفه/ الى اكثر من الاطلاع على وضع المرأة في الشريعة الاسلامية ، لثلاثة اسباب رئيسة هي :

السبب الأول : ان مدونات كهنة اليهود لاترقى الى مستوى الكتاب الذي انزله الله على موسى ، وان هذه المدونات لا تعدو أن تكون مجرد (كتابات) وضعها بعض الحاخامات في مرحلة ما اعقبت تشتت افراد عشيرة من عشائر التاريخ القديم ، جاء النبي موسى لهدايتها ولم تهتد . . وقد عكف الحاخامون أو زعماء هذه العشيرة المشردة على انتحال ونهب تراث الشعوب المجاورة من اساطير وتاريخ وعقائد وعادات ، فاضافوا اليها او حوّروا في احداثها ونظام تكوينها ، واستطاعوا أن

يوجدوا (لجماعتهم) مكاناً وتاريخاً بين شعوب
المنطقة ، لان ظروفاً كثيرة عملت في خدمتهم ، وحفظت
مدوناتهم التي اعتمد على ما جاء فيها الاغريق
والرومان ، ومن ثم العالم الاوربي والعالم المعاصر ،
واضحت بالنسبة لهؤلاء من اهم المراجع لدارسة
التاريخ القديم . .

السبب الثاني : ان تلامذة السيد المسيح لم يحتفوا بالمرأة كما يجب
في اناجيلهم ، فبدت المرأة في ذكرياتهم عن ايام يسوع
وكأنها مجرد خاطئة أو تابع ، اضافة الى وجود
مفردات قليلة مما اتى به كتاب التوراة ، وخاصة فيما
كتبه بولس من رسائل اضيفت الى الاناجيل . .

ويبدو السبب الثالث : أكثر اهمية ، ونحن نلّم بكل ما يتعلق بالمرأة في
سور القرآن الكريم ، لان هذا الكتاب لم يترك شاردة او واردة في هذا
الموضوع إلا أحاط بها ، وضبطها ، وابان في شرحها واعطاها
ما تستحق لتصبح قانوناً أبدياً ..

لهذه الاسباب الثلاثة ، كان الكتاب في صورته الاولى ، يتجه الى
دراسة سيرة المرأة ووضعها في القرآن .

وامام هذا التصور ، برز سؤال مهم : ولكن . .لماذا نغفل ما يعتقد
به الناس الآخرون؟ .

ان مدونات اليهود مترجمة (ككتاب مقدس) الى جميع لغات

العالم ، وتحوي افكاراً ، لاشك عاشت في ذلك الزمن الذي سبق دعوة موسى ، وعاصرها ، ووجودها في كتاب ، حتى ولو كان محتواه مأخوذاً من ادبيات الشعوب القديمة ، يشير إلى ان كثيرين يقتدون بها ويطبقونها في مجتمعاتهم التي تعاصرنا ، فلماذا لا نطلع القارىء على هذه الافكار ، ونضعها الى جوار افكارنا؟ . .

إن الامر يبدو قميناً بالدرس والتفكير ، وكتابنا بين الكتب السماوية ، هو كتاب خاتم النبيين ، وهو الفيصل في كل ما يختلف حوله . .

من هنا ، كانت مطالعتنا ضرورية وهامة في آن واحد . . ضرورية . . لنعرف معتقدات وتعاليم غيرنا من الشعوب ، التي تشاركنا ـ شئنا أم ابينا ـ في الحياة على سطح هذا الكوكب . . وهامة ، لان ما حفلت به صحائف كتابنا ، جاء كقانون وضوابط ، لخير الانسانية جمعاء ، وسيعرف المعدن النظيف ، من المعدن الردىء ، عند وضع المادتين المكونتين للمعدن الردىء والمعدن النظيف ، في بوتقة الاختبار . .

وهكذا . . اتخذ الكتاب شكل المقدمة الطويلة ، او التمهيد المسهب والمتسع ، لتغطية كل ما قيل وكتب في المدونات التي وضعها اليهود ، ونشروها بين ايدي الناس ، في مختلف الازمان والاصقاع ، والاطلاع على ذكريات تلامذة السيد المسيح وهم يقصون ما سمعوا أو شاهدوا بين يدي معلمهم ، وصولاً إلى هبات الشريعة الاسلامية للمرأة ، وهي الشريعة الوحيدة التي لم تترجم أو تدوّن او تنقل من الذاكرة .

إن هذه المطالعة الطويلة ، تضعنا أمام مجموعة من النتائج

الكبرى ، لن يفي عرضها مجردة كنتائج ، بالغرض من وضع هذا الكتاب ، وقد اتسع من صورته الاولى ، ليشمل افكارنا وافكار غيرنا ، في محاولة لا تبغي النتائج وحدها ، بقدر ما تبغي التمييز واظهار الجوهر الحقيقي لوضع المرأة ، في الكتب المقدسة . .

إن غرضنا ، وان لم يظهر جلياً حتى الآن يتمحور حول حقائق لا بد من اضاءتها وابرازها ، والتركيز عليها ، ونحن نقف حيال النتائج الكبرى التي وضعتنا امامها هذه المطالعة الطويلة لعشرات المئات من الصفحات ، وهذه الحقائق التي سعينا لاستجلائها منذ البداية ، تنبع من وجود المرأة في المجتمع الانساني ، كمخلوق خاضع لقانون الحقوق والواجبات ، ومايتفرع عن هذا القانون .الثواب والعقاب . الخطيئة والايمان .الخير والشر . المساواة والظلم . قصة المرأة الاولى ، وفروع اخرى في قانون الواجبات والحقوق ، الذي استننته الاديان والعقائد على مرّ العصور . .

وهذا الغرض هو ماسنقف عنده ، ونطل عبره ، اطلالتنا الاخيرة على محتويات الكتاب ، مقدمين النتائج التي تمخضت على شكل مقارنات ، بين افكار اليهودية والمسيحية والاسلام ، في كل فرع من فروع القانون الذي خضع له وضع المرأة ووجودها في المراحل الدينية المختلفة . .

قصة ولادة المرأة الاولى :

. . ان قصة ولادة (حواء) ذات الاسم العربي ، هي موضوع المقارنة الاولى ، ويكتسب الموضوع جدارته واحقيته ، لانه جاء اولاً في سيرة المرأة ، ومنه بدأت سيرتها الى جوار الرجل . . واللافت للنظر في هذه القصة ان تحتوي على امر هو محل اتفاق ، وامر آخر يتضمن وزر الخطيئة الاولى والخلاف حول الجانب الذي يتحملها ، اما الامر الاول فان الكتب السماوية ، تتفق على ان الرجل/ آدم ، كان مخلوقاً وكاملاً قبل ان تخلق الانثى/ حواء ، ويؤكد ذلك الانجيل ، في رسالة بولس الى تيموثاوس :

((آدم جبل اولاً ثم حواء))

وكان كتاب التوراة ، من قبل ، قد تحدث عن الضلع المأخوذة من آدم ((الموجود)) لتتحول الى امرأة :

((ودعا آدم اسم امرأته حواء

لانها ام كل حي . . . . .))

ولم يرد الحديث في القرآن عن (امرأة) آدم ، إلا بعد أن شاء الله ان يخلقه ويعلمه الاسماء ، ويطلب الى الملائكة أن تسجد له ، فيأبى (ابليس) لانه من نار وآدم من طين ، وقد اراد الله ان يكون آدم خليفته في الارض ، وتمهيداً لتنفيذ هذه الارادة الالهية اشار الى آدم ان يسكن مع امرأته في الجنة :

((وقلنا يا آدم اسكن انت
وزوجك في الجنة وكلا منها
رغداً . . سورة البقرة))

وهي المرة الاولى التي يشار فيها الى وجود حواء في القرآن ، اما الامر الثاني الذي يلفت النظر ، فهو اتفاق كل من الانجيل والتوراة حول (الخطيئة الاولى) وتحميل وزرها لحواء وحدها ، ومشاركة الحية ـ في التوراة فقط ـ في عملية الاغواء ، بينما نجد ان القرآن الكريم ، لايأتي على ذكر الحية ، ويحمّل مسؤولية هذه الخطيئة لكلٍ من آدم وحواء معاً .

ولعل من المفيد التذكير ، ان الاناجيل الاربعة (متى ـ لوقا ـ يوحنا ـ مرقس) لم تأت على ذكر آدم وحواء أو قصة الخلق وولادة المرأة الاولى ، وكل ما ظهر في التعاليم المسيحية حول هذين الموضوعين لا يتعدى السطر الواحد ، وورد ضمن رسالة لبولس الرسول ، اذ يقول :

((ان آدم جبل اولاً ثم حواء ،
وآدم لم يغوِ لكن المرأة اغويت))[1]

وهكذا فان بولس يحمّل المرأة وزر الخطيئة الاولى كله ، ملخصاً تلك الحكاية التي قصّها سفر التكوين التوراتي[2] والتي تتهم الحية

١ـ الاصحاح الثاني ـ الصفحة ٣٣٩ من رسالته إلى تيماثاوس .
٢ـ الصفحتان (٦ ـ ٧) .

المحتالة ، باغواء حواء لكي تأكل من ثمر الشجرة المحرمة ، لأن :

((ثمرها بهجة للعيون وان الشجرة
شهية المنظر فاخذت من ثمرها
واكلت واعطت رجلها ايضاً معها
فاكل . .))

ويتهم آدم حواء بتشجيعه على تناول الثمار واكلها ، وتنتهي الحكاية بطرد الاثنين من الجنة وهبوطهما الى الارض . . هذه القصة ، في القرآن الكريم ، تروى في سورتين هما :

- سورة الاعراف
- وسورة البقرة .

ونتبين من السورتين الكريمتين ، ان آدم وحواء ازلّهما الشيطان ووسوس لهما معاً ، وليس الحية اللعينة ، أو ان حواء وحدها التي تتحمل وزر هذا الزلل ، ويعترف الاثنان بما فعلا :

((قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . .))
. . سورة البقرة . .

وفي هذا اعتراف واضح وصريح من آدم وحواء ، فقد شاركا في اكل ثمار الشجرة بعد ان اغواهما الشيطان ، وكان السبب في هبوطهما الى الارض .

المرأة . . والارث الشرعي :

. . قبل ان نبحث ونقارن في موضوع الارث ، لابد من التذكير ، بوضع الانثى قبل الدعوة الاسلامية ، وهو ما تلخصه الآية الكريمة :

((وإذا بشّر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشّر به ايمسكه على هون ام يدسّه في التراب الاساء مايحكمون . .))

ومادام حال الانثى على مثل هذا السوء ، فكيف لمن اسوّد وجهه من الغيظ والغضب ، وراح يتوارى من الناس وهو يفكّر كيف يتدبر هذا السوء الذي حلّ به .؟ كيف لهذا الرجل الذي يضمر وأد فلذة كبده ودفنها في التراب ان يحسب لهذا (العار) حساباً فيما يملك ، ويقتطع الانثى شيئاً من ماله وهي التي احالت هناءته الى تعاسة؟ . .

هذا هو حال المرأة في تلك العصور الغابرة ، ويندر بل يستحيل ان تقدم جميع مدونات تلك العصور ، ما يشير إلى حق الانثى في ارث أو كسب مشروع، حتى أن كتاب التوراة ـ على ضخامة حجم صفحاته ـ يكاد يخلو مما يتعلق بهذا الموضوع ، باستثناء اشارتين عابرتين ، تكتفي الديانة المسيحية باشارة منهما لا ترد في الاناجيل الاربعة .

الاشارة الاولى التي ينفرد فيها كتاب التوراة ، تحدد احقية الانثى في الارث ، في حالة واحدة فقط هي :

((ايما رجل مات وليس له ابن
تنقلون ملكه إلى ابنته . .))

أما الاشارة الثانية التي تكتفي بها المسيحية ، ويحتفي بها اليهود في كتابهم ، فهي تلك الاشارة التي تضمنتها رسالة بولس الى اهل غلاطية وتقول :

((لايرث ابن الجارية

مع ابن الحرة . .))

والارث هنا لايتعلق بالانثى بل بابنها ، ومع ذلك فقد تم التمييز بين الانثيين : الجارية والحرة ، وحرم ابن الجارية من هذا الحق[*] . .

لما سبق ، يصبح النظر الى القوانين والضوابط المتعلقة بالارث والتي احتوت عليها سور القرآن الكريم ، على انها تمثل ثورة حقيقية في معاملة الانثى ، اعطت المرأة ما لم تنله في جميع الشرائع والعقائد والاديان السابقة للاسلام ، وانصفتها انصافاًلم يعرفه التاريخ البشري ، وقد جعل الاسلام الارث نصيباً مفروضاً ، وحقاً مشروعاً لاجدال فيه ، تأخذه الانثى من مال ابويها واقربائها وزوجها ، واوجب لها نصيباً مما اكتسبت ، كالرجل تماماً :

((للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن . .))

((للنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه وكثر نصيباً مفروضاً[1]))

* ـ المقصود بابن الجارية هنا هو اسماعيل جد العرب ابن النبي ابراهيم من هاجر جارية زوجته الاولى سارة . .

١ـ سورة النساء ـ الآية السابعة ـ الصفحة ٦٢ .

((للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس[2] . .))

وترث الزوجات من ازواجهن :

((الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم[3]))

اما اذا مات رجل ليس له ولد وله اخت او اكثر :

((فلها نصف ماترك ، فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك[4]))

والشيء الغريب حقاً ، ان الرجل/ الذكر ، ما يزال ينظر ـ في بعض بلادنا الاسلامية ـ الى موضوع الارث واحقية المرأة فيه ، نظرة جاهلية ، ينتفي فيها الحق والعدالة ، وهي نظرة لا رحمة فيما ترى ولاانسانية ، مع ان الله سبحانه وتعالى قرّر هذه الاحقية ، ولم تقف آيات كتابه ، عند حد التوزيع الى انصاف واثلاث وارباع ، بل ان هذه الآيات ، اورثت الجنة بكاملها لكل من الذكر والانثى ، دون تحديد لحصة كل منهما ، ولعلّنا نتذكر مابشّرت به سورة (غافر) :

((من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب[5]))

٢- سورة النساء ـ إلى اخر الآية ١١ ـ الصفحة ٦٢ .

٣- سورة النساء ـ إلى اخر الآية ١٢ ـ الصفحة ٦٣ .

٤- سورة النساء ـ إلى اخر الآية ١٧٦ ـ الصفحة ٨٤ .

٥- الآية الاربعون ـ الصفحة ٣٧٦ .

ان مايحدد قيمة الانسان ، ومقدار مايملك على الارض ، أو في السماء مرتبط بقوة ايمانه وتقواه ، وتفانيه في عمل يرجو فيه مرضاة الله ، ومما لاشك فيه ، ان عطاء الاسلام للانثى المسلمة في مجال الارث ، يظل نبراساً في تاريخ الانسانية ، لا يدانيه عطاء سابق او لاحق ، ولم يسطع من قبل او من بعد إلا في الشريعة المحمدية ، فهي الشريعة الاولى التي اعطت المرأة في عصر لا يعطي المرأة شيئاً ، وساوت بينها وبين الرجل في الثواب والعقاب ، ولم تبخل عليها بشيء يحفظ لها وجودها وكرامتها ، ويعمل على ان تكون الشريك الحق الكامل الحقوق ، في ملحمة الوجود الانساني .

الطلاق :

. . يبدو واضحاً وجلياً ، كره الطلاق في الشرائع السماوية جميعها ، لان عملية التفريق بين الزوجين ، اي زوجين ، هي عملية خطيرة تهدد بناء المجتمعات واستقرار الاسر ، مع ما ينجم عن ذلك من مآسٍ اجتماعية .

ويظهر كره الشرائع لهذه العملية نابعاً من حرص الانبياء والرسل على استقرار المجتمعات ، وانقاذها مما كانت تعاني من شرور العلاقة بين الرجال والنساء ، وتسيب هذه العلاقة الى الحدود التي اوجدت اوضاعاً في غاية السوء والقبح ، كأن تتزوج المرأة من خمسة رجال ، أو يتزوج الرجل عدداً لا يحصى من النساء ، في سبيل اشباع الرغبات والنزوات العابرة ، ثم لا تلبث هذه العلاقات ان تنهار مع مرور الزمن ،

ويتكاثر المطلقون والمطلقات ، وتغص الارض بالزناة والزانيات ، مع ما يفرزه هذا الوضع المضطرب من بؤر فاسدة في جثمان المجتمعات . .

لهذا نجد كتاب التوراة ، ورغم كل التشويه الذي تعرض له يقرر أنَّ :

((الرب الاله يكره الطلاق[1]))

والرجل الذي يتزوج من عذراء :

((لايقدر ان يطلقها كل ايامه[2]))

مع ان الديانة اليهودية لم تمنع الطلاق ، وقد اجازته اذا ارتبط بالذنوب :

((من اجل ذنوبكم طلقت امكم[3]))

لكن المرء يقف حائراً أمام مفردات هذا النص ، لانه يتحدث عن ذنوب لم ترتكبها المرأة المنكوبة بالطلاق ، كما ان هذه الذنوب غير محددة او موصوفة ، كجرم الزنا مثلاً ، ولعل ذلك يدفع الى الظن بان هذا النص غير كامل او ان ترجمته غير تامة ، ولعل هناك سراً آخر يكتنف هذه النقطة ، وهذا السر كغيره من الاسرار التي تكتنف تاريخ اليهود عموماً . .

يبتّ السيد المسيح بكلمات قاطعة ، في موضوع الطلاق ، والناس

١ـ سفر ملاخي ـ الاصحاح الثاني ـ الصفحة ١٣٥٦ .
٢ـ سفر التثنية ـ الاصحاح ٢٢ ـ الصفحة ٣١٤ .
٣ـ سفر اشعياء ـ الاصحاح ٥٠ ـ الصفحة ١٠٥٣ .

يلقون اليه بتعاليم اليهودية حول هذا الموضوع ، فيقول :

((الذي جمعه الله . .

لايفرقه انسان[٤]))

وهذا الكلام القاطع له مايسوّغه في ذلك العصر الغارق بالاخطاء والذنوب ، والمرأة على ما هي فيه من ظلم وعبودية ، فقد كان لابد من (صوت صارخ في البرية) يوقظ الناس ، ويعيد ترتيب الامور التي ساءت بعد انتهاء دور موسى ، وتشويه ناموسه والعودة الى اجواء الوثنية ، ولهذا يصبح قول السيد المسيح (ان الذي يجمعه الله لايفرقه انسان) قولاً مسوغاً ، لان الزواج في عرف عيسى ، عملية شرعية اجازها الله ورعاها ولا يحق للعابثين ان يحوّلوا هذه العلاقة المقدسة الى ملهاة .

ان كلام السيد المسيح واضح كل الوضوح ، فما دام الزوجان مرتبطين وشريكين في هذه الهبة الالهية وملتزمين بشروطها وواجباتها المقدسة ، فلا يجوز التفريق بينهما . اما اذا أخلّ احد الطرفين ـ والحديث بين السيد المسيح واتباع موسى كان يتناول المرأة ـ فان التفريق لا يتم إلا بشرط واحد ، وهذا الشرط ينزع عن العلاقة بين الزوجين احترامها وقدسيتها ، يتابع السيد المسيح :

٤ـ انجيل مرقس ـ الاصحاح العاشر ـ الصفحة ٧٤ .

((قيل من طلّق امرأته فليعطها كتاب طلاق واما أنا فأقول لكم
- ان من طلّق امرأته إلا
- لعلة الزنى -
يجعلها تزني[*]))

وهكذا . . فالمسيحية لا تجيز الطلاق إلا في حالة واحدة ، وهي وقوع الزنا وانتفاء القدسية عن العلاقة بين الزوجين . .

إن اليهودية والمسيحية ، كما بيّنا حتى الآن ، وقفتا بالعلاقة بين الرجل والمرأة عند نقاط اولية ولم تتجاوزاها ، وهي وان كانت اساسية إلا ان ذلك يحتاج الى فهم اعمق للعلاقة التي اجازها الله ورعاها ، فالحياة الزوجية لا تكتمل أو تصبح علاقة وطيدة ، لمجرد الغاء الطلاق او تقييده بعلة ما ، ورغم ان القرآن الكريم ، أو الشريعة الاسلامية اتفقت مع الشريعتين السابقتين في كره الطلاق :

((اكره الحلال الى الله الطلاق))

فان هذه الشريعة لم تقف عند كراهية الطلاق او اجازته وربطه بشروط معينة ، بل عالجت هذا الموضوع بعمق تام ، ولم تترك الحياة الزوجية تحت رحمة سيف الطلاق وشروطه ، بل انها شاءت ان تحيط بها من جميع الجهات ، ولم تكتفِ بنصٍ صغير أو جملة واحدة وهي تدرس هذه الحالة الانسانية ، بل عالجتها بتأن وروية ، في سورتين كريمتين هما : سورة النساء وسورة الطلاق ، وقد تابع الرسول العربي (صلعم) هذا الاهتمام الذي ابداه الكتاب ، وشاء ان يأخذ به

* - انجيل متى - الاصحاح الخامس - الصفحة التاسعة .

اتباع شريعته ، من بعده ، حتى لا تظلم المرأة مرة أخرى . .

ونلاحظ ان الرسول الكريم يؤكد تعاليم القرآن ، ويشرحها لاتباعه ، في خطبة حجة الوداع .

((ان لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حق . لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم و ان لا يدخلن احداً تكرهونه بيوتكم إلا باذنكم ، و لا يأتين بفاحشة مبيّنة ، فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مبرح . اخذتموهن بامانة الله ، فاتقوا الله بالنساء واستوصوا بهن خيراً . .))

وفي هذه الخطبة المحكمة ، استخلاص كامل لموقف الاسلام من العلاقة بين الرجال والنساء ، فنحن نرى أن واجبات المرأة نحو زوجها محددة وبينة ولا لبس فيها ، فهي مسؤولة عن نظافة فراشه وبيته ومكان حرثه ، اما عندما تأتي بفاحشة مبيّنة ، فان الله يسمح بالعضل والهجر والضرب غير المؤذي . . ولأن خلق المرأة من آيات الله العظمى :

((ومن آياته انه خلق لكم من انفسكم ازواجاً))

فقد شاء رسوله ان يذكّر اتباعه ، بانهم اخذوا زوجاتهم بامانة الله (اوفوا الأمانة حقها) والامانة شيمة من شيم المسلمين ، لهذا فهو يطلب اليهم اتقاء الله فيهن ، وان يكن في موضع الوصاية الخيرة . .

في سورة النساء ، تتحدث الآيات حول النساء الناشزات ، واللواتي يرتكبن الفحشاء ، ولاترد كلمة الطلاق بمعناها الحرفي ، وانما تحضّ

على اخذ النساء برفق ومودة :

((واللواتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا[1]))

وكذلك لاترد هذه الكلمة (الطلاق) والآية الخامسة عشرة من السورة ، تتناول النساء الخاطئات :

((واللواتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا[2]))

وهل هناك رحمة اعظم مما تضمنته هذه الآية؟ . ان جريمة الزنا التي كانت في شريعة موسى طريقاً إلى الموت :

((المرأة التي تزني ترجم حتى الموت))

تحتاج في الشريعة المحمدية الى اربعة شهداء[*] حتى تصبح (فاحشة) ومع ان الفاحشة اصبحت (مبينة) فالمرأة التي هانت عليها قدسية العلاقة الزوجية ، تمسك في البيوت حتى يتوفاها الموت أو يجعل الله لها سبيلا . .

وتفصل سورة الطلاق ، في موضوع المرأة التي ثبتت عليها جريمة الفحشاء ، فانها ما تزال في منزلها حتى تنهي ايام عدتها الشرعية ، حرصاً على انتماء ما في بطنها ، وعند نهاية ايام العدة المقررة .

١ـ الصفحة ٦٦ ـ الآية ٣٤ .

٢ـ الصفحة ٦٣ .

* ـ (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء) سورة النور ـ الآية الخامسة . .

((فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله[*]))

إن هذه الاحكام الالهية هي التي اسهمت في تعاظم دور المرأة المسلمة ، لانها حفظت حقوقها ، وكرامتها ، والزمت المجتمع باحترام المرأة المؤمنة التي تراعي حدود الله والاخلاق الانسانية ، فكبرت المرأة بالاسلام ، وانتهت بذلك عصور السبي والعبودية . . والظلام . .

الزواج :

. . سمحت الاديان السماوية كلها بالزواج وباركته ، ومن بينها الديانة المسيحية التي شاء معذّب المسيحيين (شاؤول)[1] ان يلصق بتعاليمها ، ما لم يأتِ ذكره في اقوال السيد المسيح او في اناجيل تلامذته المقربين ، من مثل :

((حسنٌ للرجل ان لايمسّ امرأة))

أو قوله :

((الزواج اصلح من التحرق[2])) .

ويبدو ان (شاؤول) أو بولس . هو اول داع في التاريخ الى نظام الرهبنة في القول الاول ، كما انه في القول الثاني ، يفرغ العلاقة الزوجية من مضمونها الانساني والمقدس ، ويحوّلها الى مجرد وسيلة

* ـ الصفحة ٤٤٥ ـ الآية الثانية .

١ـ اصبح فيما بعد احد دعاة المسيحية ودعي بالقديس بولس او بولس الرسول . .

٢ـ رسالته إلى أهل كورنثوس ـ الاصحاح السابع .

لاشباع الشهوات واسكات أو اخماد الرغبة **الحارقة** ، وهذا يتناف مع تعاليم المسيحية ذاتها التي تنظر الى الزواج كفعل مقدس لا يجوز العبث فيه ، لأن الله هو الذي ابرمه ، وما ابرمه الله لا يفرقه انسان . .

بعد هذه الاشارة ، نعود إلى تقليدنا في الحديث ، وهو البدء بكتاب التوراة اول الكتب المقدسة ، ونجد ان العقيدة اليهودية تفرض على اتباعها الزواج من (العذراء) فقط ، فهي امرأة الشباب التي لا يمكن تركها مدى العمر ، ولا يعترف اليهود بعلاقة زوجية اخرى ان لم تكن الزوجة عذراء ، لانهم ينظرون إلى غير العذراء من النساء ، نظرتهم الى الزانية ، فالمطلقات والارامل في مرتبة الزانيات تماماً ، ولا يجوز الاقتران بهن ، واشترط المشرع اليهودي اضافة الى العذرية في الانثى ، ان تكون يهودية ايضاً ، لان الزواج من الغريبات والاجنبيات محظور وممنوع كالزواج من البغايا والخاطئات . هذه النظرة اليهودية ، تتلقى رداً مناسباً في تعاليم السيد المسيح الذي غفر للخاطئات ذنوبهن واتاح لهن فرصة التوبة والعودة الى الحياة الفاضلة من دون اخطاء جديدة ، وكان الرد ان سمح لاتباعه المؤمنين من الذكور والاناث بالزواج من غير المسيحيين شريطة المحافظة على العقيدة ، ولم ينظر الى المطلقة كزانية إلا لانه ربط حدوث الطلاق ووقوعه بعلة الزنا ، فاوجد الحماية الدائمة لكل من المرأة والرجل في هذه العلاقة . .

ويأتي القرآن الكريم ، ليجعل من الزواج والعلاقة الزوجية ، آية من آيات الله .

((ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها . .))

وفي هذه الآية العظيمة ، تتجلى نظرة العقيدة الاسلامية الى العلاقة الصحيحة بين الذكر والانثى ، وترتفع بها الى مستوى معجزات الله سبحانه وتعالى في الخلق والانشاء ، وهل هناك اجلّ من معجزة تجمع الزوجين في خلق واحد رحمه النفس حيث الدفء والحب والود والامان ، ليسكنا اليها؟ . .

من هذه النظرة الشاملة ، تنبع تعاليم القرآن الكريم ، حول العلاقة الاهم بين قطبي الحياة البشرية ، لان هذه العلاقة هي الاساس في بناء المجتمعات الانسانية . . وعبر هذه النظرة ، نفهم مدى احترام الدين الاسلامي للمرأة ، وترغيب اتباعه في الزواج ، والسماح لهم بأخذ نساء اهل الكتب والايامى والفقيرات والاماء ، ولم يمنع الاسلام شيئاً يؤثر في تطوير هذه العلاقة وترسيخها في المجتمع الاسلامي ، اما تحريمه نكاح المشركات ، فهو التزام بقدسية الخلق الالهي ، وتنفيذ لامره تعالى :

((الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات))(*) . .

* - سورة النور - الصفحة ٢٨١ - الآية ٢٦ .

امهات الرسل . . وزوجاتهم :

. . في حياة الرسل اصحاب الكتب (موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله) اكثر من علامة مميزة لهم عن غيرهم من مخلوقات الله ، نعرضها في هذه المقارنة الاخيرة ، وخاصة العلامات التي تتعلق بالنساء ـ امهات وزوجات فقط ـ ممن كان لهن شرف الانتماء الى رسل الله تعالى . .

يلاحظ أولاً ، ان امهات الانبياء الثلاثة لم يذكرن في كتب ابنائهن باستثناء مريم ام عيسى المسيح ، فقد ذكرت في العهد الجديد والقرآن الكريم . .

ويلاحظ ثانياً ، ان علاقة الابناء بامهاتهم ، اقتصرت على المرحلة الاولى من الحياة ، ومنذ ايامها الاولى ، فآمنة ام الرسول العربي ، انتقلت الى جوار ربها لتنتقل مهمة ارضاع الطفل الوليد الى حليمة السعدية ، (ويوخايد) أو ناهيد وهي ام موسى ، تفقده صغيراً ويقال انها ارضعته في مهده الثاني . منزل احد فراعنة مصر ، وفقدنا آثارها بعدئذ .

أما مريم العذراء ، فتغيب صورتها ـ صورة الام ـ من الاناجيل الاربعة ، بعد انهاء مهمتها في الانجاب . ولم تلد مريم أو آمنة ـ صبياناً أو فتيات ـ بعد عيسى ومحمد ، ولا نعرف اختاً لموسى . . بالنسبة إلى الزوجات ، فان عيسى لم يتزوج ، ولقد تزوج موسى أولاً (صفورا ابنة يثرون كاهن مدين) وهو النبي

شعيب ، وانجب أولاداً ، لم يتركوا

وتزوج محمد أولاً (السيدة خديجة بنت خويلد ، السيدة الوحيدة التي انجبت له أولاداً ، كان اشهرهم على الاطلاق انثى هي فاطمة الزهراء رضوان الله عليها . .

من هذه المقارنة ، نصل الى امر غاية في الاهمية ، وهو ان النبي العربي كان الاكثر معرفة بالمرأة من غيره من الرسل والانبياء ، ولهذا نراه في خطبة حجة الوداع ، يرشد اتباع عقيدته الى ما يجعل حياة الرجل والمرأة معاً ، اكثر اطمئناناً واستقراراً ، من خلال هذه المعرفة العميقة ، لدور المرأة في الحياة ، فهو قد عاش مراحل هذا الدور الثلاث : الام/المرضعة . . والزوجة الكريمة الواعية ، والابنة الطيبة المؤمنة ، وكان يعبر عن واقع الحال ، عندما قال :

((اخذتموهن بامانة الله . .

فاتقوا الله بالنساء . .

واستوصوا بهن خيراً . .))

١١ /١٩٨٨ ـ اللاذقية

سورية

فهرس الكتاب

كتب للمؤلف

١	ـ وجوه آخر الليل	«قصص»
٢	ـ معرض صور	«قصص»
٣	ـ عالم المواطن م	«قصص»
٤	ـ الطريق الطويلة	«قصص»
٥	ـ الطيور	«قصص»
٦	ـ أحزان تلك الأيام	«قصص»
٧	ـ الوقوف على الرؤوس	«قصص»
٨	ـ اعترافات فارس الزمان	«قصص»
٩	ـ طريق إلى الأرض الحرة	«للأطفال»
١٠	ـ الأيام الرائعة	«للأطفال»
١١	ـ حكايات عن العصافير	«للأطفال»
١٢	ـ رحلات السندباد العجوز	«للأطفال»
١٣	ـ الظواهر القصصية عند العرب	دراسة/طبعتان
١٤	ـ القصة في الوطن العربي	دراسة
١٥	ـ النص الأدبي في مواجهة الكاميرا	دراسة
١٦	ـ في القصة العربية/صوت في القصة السعودية ..	
١٧	ـ نحو ملحمة روائية عربية	

تحت الطبع :

١ ـ أسماء في القصة السورية

٢ ـ كلام في القصة القصيرة

٣ ـ انهيار إلى الأعلى رواية

كتب صادرة عن دار كندة للنشر

١ ـ اللؤلؤة	رواية
٢ ـ الموناليزا تبتسم لنصل المقصلة	قصص
٣ ـ مذكرات فأرة	قصة
٤ ـ سلسلة لونا للأطفال	
ـ أحلام لونا	
ـ الأصدقاء	
ـ مكتبة البراعم	
ـ أقلام عصام الملونة	
ـ البوم الحكيم	
ـ ما أجمل الحرية	

كتب تحت الطبع

١ ـ القصة القصيرة في سوريا	دراسة
٢ ـ عودة البحر إلى .. الميناء	رواية
٣ ـ البحث عن الطمأنينة	عمل روائي

ايتها الحبيبة

- هاانت جميلة . .

يا حبيبتي . .

- عيناك حمامتان . .

- شفتاك كسلكة من القرمز . .

- فمك حلو . .

وعنقك كبرج من عاج . .

- ثدياك كخشفتي ظبية توأمين .

يرعيان بين السوسن . .

- ثدياك . . كالعناقيد . . .

- دوائر فخذيك . . مثل الحلي . .

- ماأجمل رجليك بالنعلين . .

يامن سبيت قلبي . .

- ماأجملك . . وماأحلاك . .

ايتها الحبيبة . .

((سليمان الحكيم))